72 ساعة

72 ساعة

الكاتبة: ريهام فريد

رقم الإيداع: 16521 / 2018

ISBN: 978 - 977 - 798 - 137 - 8

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail com

info.darel7elm@Gmail com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره
عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظه للدار
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت
إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

72 ساعة

الكاتبة

ريهام فريد

الحلم
للنشر و التوزيع

إهداء

لمن كانوا دومًا بجانبي في كل محطات حياتي.

إلى من ينسب لهم كل ما أنا عليه اليوم.

إلى أبي وأمي.

إلى من وضعني على بداية الطريق

إلى من منحني الدفعة التي كانت أحد أسباب كتابة هذه الرواية

إلى الكاتب/ محمد عباس

"فجأة، توقف بنا القدر، كما تتوقف عجلات سيارة في الوحل، وهي في طريقها إلى مشوار جميل"

أحلام مستغانمي

- "أحمر؟! مرة أخرى يا زينب؟ "!

قالتها سماح باستنكار أول ما رأت زينب تدخل المستشفى بحجابها الأحمر.

ضحكت زينب وهي ترد عليها بمرح طفولي :

- "نعم، أحمر اليوم وكل يوم، فأنت تعلمين جيدًا أني مهووسة بهذا اللون"

ردت سماح وهي تضغط على حروف كلماتها :

- "أنسيتي أنك ممرضة؟! هل صادفك من قبل أي ممرضة ترتدي حجابًا أحمرًا؟"!

- "نعم رأيت، أنا!" قالتها زينب بكل ثقة.

- "كما تحبين يا زينب، فأنت من ستتحملين تبعات هذا الأمر إذا كان مزاج الطبيب الذي ستعملين معه اليوم غير رائق، والآن اذهبي لتتفقدي جدولك اليوم"

- "لا أعلم لمَ اليوم أشعر بالتوتر والقلق، أتمنى أن يجعل الله هذا اليوم يمضي على خير "

قالتها زينب وهي تتجه نحو جدول توزيع الممرضات لهذا اليوم.

قابلت في طريقها دكتور أسامة الذي قام بتحيتها بابتسامته العذبة، والتي دفعت في نفسها بعضًا من التفاؤل،وتمنت بينها وبين نفسها أن يوقعها حظها اليوم في العمل معه.

ومن لا تتمنى هذا من الممرضات؟! فهو الطبيب الذي يأسر قلوبهن، وتدور أغلب المناقشات عادة حوله في كل جلساتهن.

والحقيقة أن ما يجذبهن إليه ليس وسامته، والتي له حظ كبير منها، وإنما ما يجعله بطل حواراتهن هو روحه المرحة ودمه الخفيف، وتباسطه الشديد مع كل من في المستشفى، والذي مكنه من عمل علاقة طيبة بأغلب العاملين بها.

أفاقت زينب من أمنياتها أمام اللوحة التي تحتوي على الجدول، بحثت عن اسمها بها وألقت نظرة على اسم العيادة والطبيب المقرر أن تعمل معه اليوم، فصدمت صدمة شديدة وأطلقت صيحة غضب مكتومة.

❁ ❁ ❁

قبل ثلاث ساعات

خرجت زينب في الصباح الباكر من بيتها في حي السيدة زينب، ذلك الحي العريق،والذي كان مصدر الإلهام لوالديها لتسمي على اسمه. انطلقت لتلحق بعملها بالمستشفى، بعد أن ودعت والدها وأطمأنت لذهاب كل من أخواتها الخمسة إلى مدارسهم، فهم ليس لهم سواها ترعاهم وتهتم بشئونهم، بعد صراع والدتها مع سرطان الكبد والذي انتهى بوفاتها منذ ثلاثة أعوام.

خرجت من باب العمارة لتجد شابًا في أواخر العشرينات من عمره، يدخن سيجارة، وتبدو على وجهه علامات التملل.

تهللت أساريرها حينما رأته وبابتسامة كبيرة قالت له :

- "صباح الفل يا محسن"

رد عليها بلا مبالاة :

- "صباح مثله مثل كل صباح، مليء بالكآبة كالعادة، لمَ تأخرتي يا زينب؟"

- "لم أتأخر، لقد نزلت حتى دون تناول الإفطار حتى لا أجعلك تنتظر كثيرًا، ماذا بك يا محسن؟ هل هناك ما يزعجك اليوم؟"

- "ماذا بي؟ هذا هو العادي بالنسبة إليَّ مثل كل يوم"

- "هل هذه هيئة شخص يتبقى على زواجه شهر؟ انظر إليَّ، أكاد أطير من السعادة كلما فكرت أنه يتبقى شهر بالضبط من اليوم على زواجنا يا محسن، ياه بعد كل هذه السنين، تسع سنوات وأنا أحلم بهذا اليوم الذي سيجمعنا فيه بيت واحد، من اليوم سنبدأ العد التنازلي"

نظر لها محسن بتهكم وضحك بسخرية وهو يقول :

- "عد تنازلي؟!اصمتي يا زينب، هل تظنين نفسك في مركبة فضاء! فلتكفي عن الثرثرة، وهيا لآخذك إلى المستشفى كي أتمكن من الوصول إلى المصنع في الميعاد المناسب. لا أريد أن أتأخر ويخصم لي، ونحن لا نملك التفريط في أي قرش من أجل إكمال مصاريف الزواج"

استسلمت زينب لطريقة محسن المعتادة والمليئة بالسلبية والقدرة على تحويل كل لحظاتها الحالمة إلى واقع مؤلم وكئيب، وتبعته بصمت للتوجه للمستشفى.

* * *

التقطت سماح علامات الغضب البادية على وجه زينب من بعيد، فأسرعت إليها وسألتها عن سبب كل هذا الغضب.

- "ألم يجدوا من يضعوني معه في جدول اليوم سوى تلك الفتاة المتغطرسة؟! يا الله! ماذا فعلت كي يتم عقابي بهذا الشكل؟"

ألقت سماح نظرة سريعة على الجدول فالتقطت اسم الدكتورة دينا النجار بجانب اسم زينب.

ابتسمت ابتسامة خبيثة وهي تقول:

- "يا زينب لا أعرف على أي أساس كونتِ فكرتك عنها بهذا الشكل؟ ولا أستطيع أن أفهم لماذا تكنين لها كل هذا العداء؟"!

- "لأنني لا أحب هذه النوعية من الناس، لا أحب تلك التي ترى نفسها أفضل منا جميعًا لمجرد أنها جميلة ومستواها الاجتماعي والمادي أعلى منا"

- "ولماذا أصلًا تظنين أنها تعتقد هذا؟"

- "الأ ترين أنها دائمًا منزوية على نفسها طوال الوقت؟ هل رأيتها من قبل تحادث أيًّا منا إلا للضرورة القصوى وسط العمل؟ دعك منا، هل حتى لمحتيها من قبل تتحدث مع أي من زميلاتها أو زملائها الأطباء؟"

- "صحيح هي كلامها قليل فعلًا لكنني أشعر أنها طيبة القلب"

- "طيبة؟! كيف يمكنك الحكم عليها بأنها طيبة إذا كانت تعزل نفسها عن الكل بهذا الشكل؟!صدقيني، يبدو أنك أنت الطيبة يا سماح! والآن اتركيني أواجه هذا الهم، لعل الله يهونه عليَّ ويمضي اليوم دون مشاكل. لقد قلت لك منذ بداية اليوم أنني غير مطمئنة"!

* * *

دخلت زينب عيادة الأسنان المكلفة بالعمل بها في هذا اليوم وهي تقدم قدمًا وتؤخر الأخرى، وحمدت الله أن الدكتورة دينا لم تصل بعد، فهي

تتمنى أن تقضي أكبر فترة ممكنة دون أن تضطر للتعامل معها حتى ينتهي اليوم بسلام.

بدأت زينب في عملها الروتيني من تجهيز العيادة وتعقيمها على أحسن وجه، أو ربما على مستوى أعلى بكثير من أحسن وجه، فوسوستها الشديدة وخوفها الشديد من المرض يجعلانها دائمًا تبالغ في مثل هذه الاجراءات.

سمعت طرقًا خفيفًا على الباب، ليفتح بعدها، وتطل دينا من خلفه بابتسامة خجولة. دخلت دينا بخطوات متثاقلة وهي تقول بصوت لا يكاد يسمع:

- "صباح الخير."

تأففت زينب بينها وبين نفسها وهي تفكر في تلك التي لا تحاول حتى إلقاء تحية الصباح بطريقة لائقة.

"طبعًا نحن لسنا على قدر مقام الهانم!" قالتها زينب لنفسها.

ردت زينب باقتضاب وسألت دينا إذا كانت ستنتظر بعض الوقت قبل أن تبدأ في استقبال المرضى بالعيادة.

- "لا دعهم يدخلوا مباشرة، لا نريد لأحد أن ينتظر وقتًا طويلًا، فلنجعل اليوم قصيرًا قدر المستطاع"

عادت زينب تحادث نفسها مرة أخرى معقبة على جملة دينا الأخيرة:

- "طبعًا هي متعجلة وتريد الخلاص منهم، لا تود التعامل مع الناس كسائر البشر العاديين."!

خرجت زينب لموظفة استقبال العيادات وطلبت منها أن تنادي على المريض الأول.

صاحت الموظفة بصوت عالٍ: "ريم عادل"..

* * *

مرَّ نصف اليوم بشكل روتيني رتيب إلى أن جاءت ساعة الراحة، والتي تنفست معها زينب الصعداء لأنها سترتاح قليلًا من التعامل مع دينا.

وبالرغم من أن زينب لم تواجه نهائيًّا أي مشاكل في التعامل مع دينا، ولم تتصرف معها بأي شكل يضايقها إلا أن شعورها تجاهها لم يتغير.

قررت زينب أن تقوم بتجهيز العيادة للمريض التالي قبل أن تبدأ فترة راحتها؛ حتى تعود بعدها دون الشعور بأن وراءها مهام مؤجلة.

قامت بغسل الأدوات المستخدمة ووضعها بجهاز التنظيف بالموجات فوق الصوتية .

استدارت لتقوم بنزع الأغطية البلاستيكية وتعقيم الأسطح ولكنها شعرت ببعض الدوار، مما أدى لاصطدامها بسلة المهملات، والتي وقعت بدورها، وتبعثرت كل محتوياتها.

تمالكت زينب نفسها وجلست لثوانٍ تلتقط أنفاسها، وتتأكد أن الدوار قد زال ثم بدأت في جمع محتويات حاوية النفايات.

شعرت بوخزة أثناء قيامها بإرجاع النفايات للحاوية، فتحت لتنظر ما الذي وخزها لتجدها حقنة قامت برميها منذ قليل بعد الانتهاء من آخر مريض.

لا تعرف كيف لم تنتبه وهي تلتقط القمامة وكيف وقعت في هذا الخطأ، وهي المهووسة باتباع تعليمات النظافة والصحة،والتي دائمًا ما تنتبه لأدق التفاصيل.

بدأت أسوأ الأفكار تهاجمها وتتزاحم في رأسها .

ماذا لو كان ذلك المريض الذي تم استخدام تلك الحقنة له، مصابًا بفيروس التهاب الكبد الوبائي"C"؟

شردت وعادت بذاكرتها لفترة مرض والدتها، تذكرت معاناة أمها الشديدة مع ذلك الفيروس اللعين والذي تطور فيما بعد لسرطان الكبد، موديًا بحياتها، تاركة لها ولأخواتها الصغار دون معين سوى والدهم الموظف البسيط.

دفعت ذكرياتها وبدأت تشعر بالذعر من الفكرة نفسها.

خرجت مسرعة من العيادة، وبحثت عن سماح حتى وجدتها، فاندفعت إليها وأخذتها من يدها لمكان منزوٍ.

تعجبت سماح من تصرفها الغريب وسألتها :

- "ماذا بك يا زينب؟ هل حدث ما يزعجك؟ أصدر من الدكتورة دينا ما ضاي"..

قاطعتها زينب بلهجة لا تخلو من الخوف :

- "انجديني يا سماح، لقد أصبت"

- "ماذا حدث؟ هل جرحت؟"

- "لا لقد وخزتني إبرة حقنة"

- "زينب ألديك مزاج الآن للمزاح؟ سامحك الله، لقد أصبتيني بالذعر. تسحبيني بهذا الشكل وملامحك المملوءة بكل هذا القلق، وكل هذا كي تخبريني أنك قد أصبتي بوخزة حقنة؟! ماذا بك يا زينب؟ لا يمكن أن تكوني متألمة من وخزة إبرة"!

- "يا سماح أرجوك فلتوليني بعض الاهتمام والتركيز معي قليلًا، هذه الحقنة قامت باستخدامها الدكتورة دينا مع مريض لديها في العيادة"

- "عادي يا زينب، ماذا في هذا؟ لا تبالغين في ردة فعلك هكذا! لا أرى قضية كبيرة في هذا الأمر"

- "كيف يا سماح، كيف ترين الأمر تافهًا بهذا الشكل؟! ماذا لو كان هذا المريض مصابًا بفيروس سي أو غيره، وانتقل الفيروس إلي؟"

- "ياه يا زينب! كم خيالك واسع! يا حبيبتي ألن تتوقفي عن مبالغتك في الوسوسة الزائدة؟ انفضي هذه الأفكار عن رأسك، وإن شاء الله لن يحدث شيء مطلقًا وستكوني بخير، لا تقلقي"

- "أنا لا أريد أن أموت مثل أمي يا سماح"

- "يا عزيزتي إن إصابة والدتك، رحمها الله، بفيروس سي، لا يستدعي أن تظلي طوال حياتك بهذه الوسوسة والقلق الذي لا داعي له على الإطلاق. لا تخافي يا زينب! اذهبي لتحتسي أي شيء يهدئ أعصابك قبل أن تنتهي فترة الراحة."

شعرت زينب أن سماح لا تقدر خطورة الموقف، وأنها غير عابئة بقلقها، ومن شدة ذعرها وقلقها الشديد، فقدت السيطرة على أعصابها وبدأت في البكاء بهستيريا.

كان دكتور أسامة يمر قريبًا منهما في هذه اللحظة، فرآها في هذه الحالة، فاقترب ببطء وسأل زينب عما بها، وعن سبب بكائها الهستيري فقد شعر أن الأمر كبير.

أجابت سماح ضاحكة:

- "هل تتخيل يا دكتور أسامة، أن زينب الموسوسة، قد وصلت لهذه الحالة المزرية من الانهيار فقط بسبب وخزةمن حقنة"!

شعرت زينب بالغضب الشديد من عدم مراعاة سماح لمشاعرها، واستنكرت حالة اللا مبالاة المسيطرة عليها وقالت بعصبية شديدة:

- "أتسخرين مني لأني خائفة على صحتي وحياتي؟"!

- "حسنًا، فلتهدأي يا زينب وتفهميني الموضوع بالتفصيل"

حكت زينب كل ما حدث لدكتور أسامة فظهرت على وجهه علامات الاهتمام. والتفت لسماح وقال بكل جدية :

- "يا سماح، زينب محقة بالفعل في كل مخاوفها هذه، ويجب فعلًا أن تعمل على الاطمئنان على نفسها، كل ما في الأمر أنها ستحتاج لعمل تحاليل"..

قاطعته زينب :

- "سأجري فورًا لعمل التحاليل اللازمة"..

- "انتظري يا زينب! إجراءك للتحاليل فورًا لن يفيد، لأنك لو لا قدر الله قد أُصبتِ بالمرض بالفعل، فلن يظهر هذا مطلقًا في التحليل الآن"

- "لا أفهم، ماذا يعني هذا؟ ماذا يمكنني أن أفعل الآن؟!" قالتها زينب بكل توتر

- "يجب علينا أن نتأكد أولًا أن المريض الذي تم استخدام الحقنة من أجله مصاب أصلًا بالفيروس أم لا؛ لأنه إذا لم يكن مصابًا، فلن يكون هناك أي مشكلة، وفي حالة إذا ما كان، لا قدر الله مصابًا بفيروس C ، فلا تقلقي يا زينب، فإنه هناك لقاحات مضادة، يمكنك تناولها فور التأكد، قد يكون لهذه اللقاحات بعض الأعراض الجانبية،ولكن هذا بالطبع أهون من إصابتك بأي من هذه الفيروسات. فلا تقلقي، الموضوع ممكن السيطرة عليه بإذن الله لو تصرفتِ بسرعة"

انفرجت أسارير زينب بعض الشيء، وألقت نظرة معاتبة لسماح تؤكد بها أنها كانت محقة في مخاوفها، فردت سماح عليها بنظرة خجلى.

ولكن بعد ثوانٍ عادت حالة التوتر لزينب، فبالرغم من تبسيط دكتور أسامة للموضوع فهو مازال أمرًا كبيرًا، كما أنها بسبب كل هذا التوتر، تشعر بعدم قدرتها على التفكير أو التصرف في الأمر.

شعر دكتور أسامة بحيرتها، فطلب منها أن تهدأ قليلًا حتى تستطيع التفكير وتذكر المريض الذي كان موجودًا منذ قليل بالعيادة والذي تم استخدام تلك الحقنة له.

- "أنا لا أعرف غير أن اسمه أ. وائل، فهذا ما كنت أسمعه من دكتورة دينا وهي تخاطبه، لكن لا أعرف عنه أي بيانات أخرى"

- "حسنًا، نحن نحتاج لأن نحضر بياناته من"..

وقبل أن يكمل جملته، كانت زينب تجري على موظفة استقبال العيادات لتطلب منها بيانات المريض.

- "آسفة، لا يمكنني إعطاءك أي بيانات عن أي مريض"

همت زينب بالرد عليها بانفعال ولكن دكتور أسامة تدخل قائلًا:

- "للأسف هي محقة يا زينب! من المستحيل أن تعطيكِ البيانات إلا لو سمح الطبيب المعالج بهذا،وبالطبع هذا يكون إجراء استثنائي في حالات الضرورة القصوى، وطبعا هذه الحالة تعتبر ضرورة قصوى."

شعرت زينب بخيبة الأمل، وقالت بكل يأس:

- "لقد ضعت إذًا! لقد أصبحت الآن فرصتي في الوصول لهذا الرجل تقريبًا شبه معدومة"!

- "لماذا يا زينب؟"!

- "لأن الطبيبة المعالجة التي كنت أعمل معها وقتها هي دكتورة دينا النجار" قالتها بكل إحباط.

- "انتظري يا زينب، أنا لا أعرف هذه الطبيبة على الإطلاق، وهذا شيء غريب لأنني أعرف أغلب أطباء المستشفى، ولكنني متأكد أن أي طبيب في الدنيا في موقف كهذا، مستحيل أن يمانع في مساعدتك"

- "أنت فعلًا لا تعرفها يا دكتور! هي شخصيةمتكبرة للغاية، ولا يمكن أن تساعدني أبدًا"

- "اطمئني يا زينب، أكيد ستساعدك، لن تخسري على الأقل من المحاولة معها، اذهبي واشرحي لها الأمر وبإذن الله لن تخذلك"

نظرت له زينب ووجهها يملؤه القلق والخوف، وحينما شعر بتوترها، عرض عليها أن يقوم هو بمحادثة دينا ومحاولة إقناعها بمساعدتها.

* * *

اتجه أسامة بصحبة زينب إلى عيادة الأسنان وتبعتهم سماح لتتابع ما سيحدث.

وجدوا باب العيادة مفتوحًا، ودينا جالسة بها بعد أن عادت من فترة راحتها مبكرة.

طرق أسامة على الباب المفتوح فنظرت إليه دينا بنظرة يملأوها الاستفهام.

وقفت زينب خلفه بالخارج، لا يمكنها التحرك من فرط التوتر بينما دخل أسامة وهو يقدم نفسه لدينا قائلًا:

" -صباح الخير يا دكتورة"

نظرت له دينا، وقالت باقتضاب :

- "صباح النور"

دلف أسامة بالداخل متجهًا لدينا، ودخلت وراءه زينب ببطء، ولكنها ما إن رأت دينا حتى فقدت أعصابها، وأنهمرت دموعها وهي تبكي بكل قلق من فكرة رفض دينا مساعدتها.

ما إن لمحتها دينا في هذه الحالة حتى تبدلت ملامحها تمامًا وبدا عليها القلق الشديد، وشعرت بالتوتر من الموقف كله وخاصة لظهور هذا الطبيب، الذي لا تعرفه، في المشهد ولم تستطع ترجمة ما يحدث، فسألت زينب بكل قلق :

- "خير يا زينب! ماذا بك؟"

لم تستطع زينب إجابتها، واستمرت في بكائها فتدخل أسامة معرفًا نفسه لدينا:

- "دكتورة دينا، أنا دكتور أسامة المغربي، طبيب باطنة، وزميلك هنا بالمستشفى"

أجابته دينا دون أن تشيح نظرها عن زينب ومازال القلق يتملكها:

- "أهلًا وسهلًا يا دكتور"

لم تستطع دينا تمالك نفسها من القلق فتجاهلت أسامة بعد جملتها الأخيرة، فالحالة التي كانت زينب عليها لا تحتمل التعارف الآن، وقالت موجهة كلامها لزينب:

- "ماذا بك يا حبيبتي؟ ماذا حدث؟"

فوجئت زينب برد فعل دينا وتباسطها في الكلام معها، ونظرت لها والدهشة تملأ عينيها، فطمأنتها ملامح دينا المهتمة، فوجدت نفسها تقول لها بكل حرقة:

- "انقذيني يا دكتورة دينا"..

ولم تستطع إكمال الكلام، لأنها انخرطت مرة أخرى في البكاء.

التقطت سماح الكلام من زينب، وأرادت أن تكفر عن احساسها بالذنب تجاهها لسخريتها من مخاوفها منذ قليل، فقالت لدينا بكل رجاء:

- "دكتورة دينا، زينب تحتاج لمساعدتك، فأرجوك لا تخذليها، حياتها متوقفة عليك"

ازداد قلق دينا بعد هذه الجملة، وترجمت قلقها هذا بقولها بعصبية :

- "أنا لا أفهم أي شيء، أمن الممكن أن يشرح لي أي شخص ما يحدث؟"

هنا تدخل أسامة وبدأ يشرح لدينا كل شيء، ومخاوفهم من احتمال إنتقال عدوى لزينب.

تفهمت دينا الموضوع وأكدت على ضرورة التصرف بسرعة.

- "نحن نحتاج بيانات المريض بالضبط، إذا كان من الممكن أن تمدينا بأي معلومات تعرفيها عنه، أو على الأقل سيساعدنا كثيرًا لو تكرمتي بالسماح لموظفة الاستقبال بإعطائنا بياناته" قالها أسامة متعجلًا.

- "بالطبع دون شك، كل ما أعرفه عنه أن اسمه أ. وائل محمود الخربوطلي"

ما إن سمع أسامة الاسم حتى بدا على وجهه علامات التوتر، والتي التقطتها زينب على الفور فسألته بكل قلق:

" -ماذا في الأمر يا دكتور؟ هل تعرف هذا الشخص؟"

- "لا تشغلي بالك يا زينب، ولا تقلقي، هيا لنحضر البيانات من موظفة الاستقبال"

نظر لدينا وقال موجها كلامه إليها :

- "بعد إذنك يا دكتورة، فلتصاحبينا من فضلك كي تأكدي للموظفة موافقتك على إعطائنا البيانات"

- "طبعًا، أكيد"

أسرع الجميع في اتجاه موظفة الاستقبال، وما إن وصلوا إليها حتى طلبت دينا منها بيانات المريض بالكامل، فاستجابت الموظفة وأعطتهم كافة المعلومات من الاسم والعنوان ورقم الهاتف.

ألقى أسامة نظرة على البيانات، فازدادت علامات القلق على وجهه، وطلب منهم الاستئذان لدقائق لأنه تذكر أنه عليه إجراء مكالمة هاتفية مهمة.

* * *

من مسافة بعيدة، كان أسامة يرى زينب تبكي ودينا وسماح تحاولان تهدئتها أثناء استعداده لإجراء مكالمته.

بحث عن اسم صديقه سراج بالهاتف وضغط على زر الاتصال.

- "أسامة! كيف حالك يا وَحش! أين أنت؟ لمَ لمْ تأت بالأمس؟"

- "أهلًا يا سراج، أنا آسف، لقد شُغِلت بالأمس ولم أتمكن من الحضور، اسمعني الآن، أريد أن أسألك عن أمر هام، هل تذكر ذلك العميل الذي كان يداوم على التدريب لديك في (الجيم)؟ذلك الشخص الذي قمت بإرساله لي منذ فترة لعمل بعض الفحوصات والتحاليل، وبالفعل جاءني مرة ولكنه

حتى لم يكمل باقي الفحوصات. وأنت بعدها أخبرتني أنه توقف عن ممارسة الرياضة لديك (بالجيم)ولم تعد تراه، وأنك عرفت فيما بعد أنه سلك طريق الإدمان والمخدرات؟"

- "نعم وائل، بالطبع أذكره"

- "ما اسمه بالكامل يا سراج؟"

- "وائل الخربوطلي، لكن لماذا يا أسامة؟ ما الذي جعلك تتذكره الآن؟ فأنا نفسي لا أعرف عنه أي شيء منذ فترة طويلة"

- "سأحكي لك فيما بعد يا سراج عندما أقابلك "

قالها أسامة وقد ازداد توتره، ولكن بمحاولة يائسة أخيرة طلب من سراج أن يرسل له رقم هاتف وائل إذا كان مازال معه ليقارنه بالرقم الذي أعطته لهم موظفة الاستقبال.

أنهى المكالمة واتجه إلى الثلاث فتيات، وفي طريقه سمع صوت رسالة سراج.

* * *

وقف أسامة مترددًا أمام زينب، لا يعرف كيف يمكنه بدء كلامه ونقل شكوكه إليها، وحينما لاحقته نظراتها الملتاعة، وشعر أنه بصمته هذا يزيدها قلقًا وتوترًا، لم يجد بُدًّا من مصارحتها بما يقلقه، فقال بتردد:

" -زينب، الآن هناك أمر ما أشك به، لقد صدق ظنك، وبالفعل اكتشفت أن ذلك المريض أعرفه بشكل ما، ونظرًا لسلوكياته وبعض عاداته فأنا قلق من أمر ما"..

لم يستطع أسامة إكمال كلامه ولم يعرف كيف يمكنه مواجهة زينب بما يعتمل في رأسه من ظنون وهواجس.

باغتته دينا بقولها :

- "ما الأمر يا دكتور؟"

- "هناك احتمال، ولو بسيط، أن هذا المريض.. قد يكون مصابًا"..

صمت لثوانٍ وهو يتحاشى النظر في وجه زينب، وابتلع ريقه قبل أن يكمل:

- "قد يكون مصابًا بالإيدز."

كانت هذه آخر جملة تسمعها زينب قبل أن تظلم الدنيا في وجهها حرفيًّا، وتفقد الوعي.

* * *

- "غير معقول! وائل؟! ما هذه الصدفة الغريبة؟؟"!

قالها سراج حالما رأي وائل يدخل عليه في صالة الألعاب الرياضية التي يعمل بها.

ابتسم وائل وهو يصافحه وقال :

- "أي صدفة؟ خير؟"

- "لن تصدق، أتذكر صديقي الطبيب أسامة؟ لقد كان يكلمني منذ لحظات ليسأل عنك"

- "طبعًا أذكره، ولكن لم كان يسأل عني تحديدًا؟"

- "لم أعرف منه بعد سبب سؤاله عنك"

- "ربما يكون قد رآني اليوم، فقد كنت بعيادة الأسنان في المستشفى الذي يعمل به"

- "إذًا فغالبًا هذا هو السبب، ربما أراد أن يرحب بك ولم يتمكن من اللحاق بك"

قالها سراج وهو يبتسم ويدفع وائل للجلوس وقال متابعًا :

- "أين كنت كل هذه الفترة يا وائل؟الحمد لله أنك بخير، لقد اختفيت منذ زمن وأختفت معك كل أخبارك"

جلس وائل وقال وهو يحاول إبعاد نظره عن سراج وكأنه يخشى مواجهته :

- "لقد أدخلت نفسي في طريق موحش للغاية يا سراج، وكدت أن أضيع تمامًا، ولكن الحمد لله فقد نجاني الله وجعلني أتمكن من امتلاك زمام أموري، والآن أنا أحاول التعافي والعودة لحياتي مرة أخرى"

- "هذا خبر رائع يا وائل، أنا فخور بك جدًّا، فكلنا نخطئ ونقع، ولكن المهم أن يتمكن الشخص منا من اللحاق بنفسه والتمكن من الوقوف من جديد، وأهم شيء الابتعاد عن كل ما يمكن أن يجره للخطأ وسلوك نفس الطريق مرة أخرى"

- "الحمد لله، أنا قطعت صلتي بكل ما أوصلني لما كنت فيه، ولا أرغب حتى في تذكر أي شيء له علاقة بتلك الفترة المعتمة من حياتي. أنا أحاول الآن استرداد حياتي وصحتي. لذا فقد أتيت إليك اليوم حتى أعاود ممارسة التمارين تدريجيًّا لأنني أعلم جيدًا أنه من المؤكد أن الرياضة ستفيدني"

- "ممتاز، هذا أفضل قرار اتخذته."

* * *

أفاقت زينب لتجد نفسها ممددة على كرسي الكشف بعيادة الأسنان، ولا تعرف كيف وصلت إليه، ولكنها ما إن نظرت حولها ورأت دينا وأسامة حتى تذكرت آخر جملة لأسامة وبدأت في البكاء بهستيريا.

أمسكت دينا بيدها وربتت على رأسها وأخذت تحاول في تهدئتها وقالت :

- "اهدأي يا زينب حتى نتمكن من الحديث معك"

لم تلتفت زينب لها وإنما نظرت لأسامة، والذي كان واقفًا على بعد خطوات، تجتاحه العديد من مشاعر القلق والتوتر والإحراج من الموقف كله، ووجهت زينب كلامها إليه من وسط دموعها المتدفقة :

- "دكتور أسامة، هل ما سمعته صحيحًا؟ هل أصبت فعلًا بالإيدز؟"

تنحنح أسامة واقترب قليلًا وقال:

- "لا يا زينب أنا لم أقل أنك أصبتِ بالإيدز، كل ما قلته أنه هناك احتمال أن يكون ذلك المريض الذي استخدمت الحقنة من أجله مصابًا بالإيدز"

- "إذا كان مصابًا بالإيدز فمن المؤكد أن العدوى قد انتقلت لي من خلال حقنته، أنا أعلم أن الإيدز ينتقل بهذه الطريقة"

- "صحيح يا زينب من الممكن أن ينتقل الإيدز عن طريق الحقن ولكن هذا ليس مؤكدًا بالضرورة، مما يعني أنه هناك احتمال للإصابة بهذه الطريقة ولكن هذا الاحتمال غير مؤكد بنسبة 100"%

- "سأموت؟ هل انتهى الأمر وسأموت؟" قالتها زينب بهستيريا وكأنها لم تسمع أي كلمة من كلام أسامة باحتمالية عدم الإصابة.

- "يا زينب بإذن الله لن تموتي، أولًا نحن لا نعرف من الأصل إذا كان هذا المريض مصابًا بالإيدز بالفعل أم لا، ثم إنه غير أكيد أن العدوى قد انتقلت إليك، وعلى أسوأ الفروض، لو كانت العدوى قد انتقلت إليك لا قدر الله، وأصبتِ بالفعل بالفيروس، فهناك أمرًا يمكننا السيطرة به على الموضوع"..

لم تعطه زينب فرصة لإكمال جملته، ووقفت منتصبة وركضت نحوه وأمسكت بيده تستعطفه:

- "ما الذي يمكننا فعله يا دكتور، أرجوك أخبرني ماذا يمكننا أن نفعل، أنا لا أريد أن أموت" قالتها وبدأت في البكاء بحرقة مرة أخرى.

- "اسمعي يا زينب،قد تستطيع الأدويةُ المضادَّة لفيروس الأيدز anti-HIV medicationمنعَ إصابة الشخص بالعدوى، وهناك دورة علاجية من الأدوية المضادة للفيروسات القهقرية يمكن أخذها لمدة 28 يوماً مع رعاية ومتابعة وكل هذا يساعد على كبح جماح فيروس الإيدز بشكل كبير ويتمكن من السيطرة عليه"

- "حسنًا سآخذ هذا العلاج فورًا، سأذهب لاحضاره من الصيدلية حالًا"

- "لا يا زينب هذا الدواء غير متوفر بالصيدليات، ولن تجديه حتى هنا بالمستشفى"

نظرت له زينب وقالت بذعر:

- "أين إذًا يمكنني إيجاده؟"!

- "من المؤكد أنك ستجديه بإذن الله في مستشفى الحميات. لكن هناك أمر هام جدًّا حتى يصبح هذا العلاج فعال ويؤتي بنتيجة إيجابية"

نظرت له ووجهها يملأه الحيرة والتساؤل، فأكمل:

- "حتَّى تكون هذه الأدويةُ فعَّالةً، ينبغي البدء باستعمال علاجٍ يُسمَّى المعالجة الوقائيَّة السابقة للتَّعرُّض للعدوى post-exposure prophylaxis

(PEP)خلال 72 ساعة التالية للتعرُّض للفيروس، وإلا بعدها لن يجدي هذا العلاج نفعًا"

* * *

- "قلت لك أنني لن أصطحب معي أحدًا يا سوسن" قالتها سناء بعصبية.

- "لا أفهم السبب يا سناء! البنت مدرستها في طريقك، ماذا سيحدث لو اصطحبتيها معك؟ "!

تساءلت سوسن باستنكار وهي تفكر بينها وبين نفسها وتحاول أن تفهم لم تتصرف أختها الكبيرة سناء بهذا الشكل. هي تعلم أن أختها غير ودودة ولا تسعى لمساعدة الآخرين منذ طفولتهما، ولكنها تخيلت أنها بعد أن نضجت ووصلت لسن السابعة والأربعين فلا بد لها وأن الحياة قد غيرتها. وأنها ربما تفرغ عاطفة الأمومة الغريزية لديها في أبناء أختها، وخاصة أنها لم يسعدها حظها بالزواج، والحصول على أبناء. ولكن يبدو أنها كانت ساذجة حينما فكرت بهذه الطريقة، فلا شيء يغير سناء. حتى اعتقادها أن دخولها كلية الطب سيجعلها محبة لمساعدة الآخرين، فهذا من أساسيات مهنتها، اتضح في النهاية أن هذا ليس له أساس من الصحة، على الأقل بالنسبة لسناء. فالتحاقها بهذه الكلية لم يكن سوى لتفوقها وحصولها على الدرجات المؤهلة لها، ولأنها تخيلت أنها ستكون سبيلها للارتقاء بمستواها وتكوين ثروة مناسبة لها. ولكن للأسف كل أحلامها تلك لم تكلل بالنجاح، فقد

انتهى بها المطاف للعمل في مستشفى الحميات، والتي لا تجني منها إلا أقل القليل. وزاد هذا من شعورها بالمرارة وغلاظة طبعها، بل ربما على عكس تخيلات سوسن، فإن زواج سوسن وهي الأخت الصغرى، وبقاء سناء دون زواج، واضطرارها للإقامة مع سوسن وزوجها وأطفالهم في بيت والديهما بعد وفاتهما، قد زاد الطين بلة، وزاد من سوء طباعها وكراهيتها للجميع، لدرجة جعلت سوسن في النهاية تعتقد أن سناء حتى تكره نفسها، وليس للحب مكان في قلب سناء لأي شيء في الحياة!

قطعت سناء شرود سوسن مع أفكارها وقالت بمنتهى العصبية :

- "لن نعيد هذه المناقشة كل يوم! أنا لا أحب أن يركب معي أحد سيارتي، وبشكل خاص أي من أولادك هؤلاء، اللذين ليس لهم ضابط ولا رابط. والآن اتركيني أذهب إلى عملي ولا تعطليني"

لم تعطها سناء فرصة لترد عليها واندفعت نحو باب الشقة وخرجت صافعة الباب وراءها.

* * *

خرج محسن إلى مكانه المفضل خارج المصنع الذي يعمل به، ليمارس هواياته المفضلة والتي تمثل له أهم شيء في الحياة، فالتدخين بشراهة عنده مثل الهواء الذي يتنفسه!

ولولا تعليمات المصنع الصارمة بعدم التدخين داخل حدوده، لم يكن ليمنعه شيء من تدخين سيجارة تلو الأخرى. وعوضًا عن ذلك فإنه ينتهز كل

فرصة تمكنه من الخروج من المصنع ليدخن سيجارة أو اثنتين قبل أن يضطر للعودة لمزاولة عمله كفني سيارات بالمصنع.

تبعه جابر، زميله وصديقه المقرب، والذي ما إن رآه حتى لاحظ الشرود والوجوم على وجه محسن على غير عادته،

قال جابر، بمرح مبالغ فيه، محاولًا تغيير حالة الوجوم المسيطرة على محسن:

- "ماذا بك يا عريسنا، لم تبدو شاردًا هكذا ويملأك الهم؟"

- "كلمة (عريسنا) تلك هي أكثر ما يغمني يا جابر"

- "لماذا يا محسن؟ الحمد لله لقد فات الكثير، ومابقى إلا القليل"

- "أشعر بالضيق الشديد يا جابر، وكلما اقترب ميعاد الزواج شعرت بالاختناق أكثر"

- "معقولة يا محسن، أنت من تقول هذا؟! أنت من شقي وتعب طوال 9 سنوات من أجل تلك اللحظة؟! ما الذي غير حالك بهذا الشكل؟ أهناك خطب ما؟ أحدث شيء بينك وبين زينب؟"

- "لم يحدث يا جابر، ولكنني مللت من كل شيء تمامًا. كلما فكرت في الزواج والتزاماته، شعرت أنني لا أطيق الفكرة كلها. لا أعرف لم أوقعت نفسي في هذا الشرك الأسود. أنا صحيح أحب زينب ولكنني أحب حريتي ومزاجي أكثر! أنا هربت من المشاركة في جهاز أخواتي وتعللت بالتزاماتي في

تجهيزات زواجي حتى لا يورطني والدي في مصاريف لا أريدها، فبدلًا من أن أعيش حياتي، أتورط في زواج والتزامات، واضطر للإنفاق على واحدة قادمة إليّ بهم والدها وإخوتها؟ أنت تعلم يا جابر، زينب مصرة على الاستمرار في مساعدة والدها بعد الزواج، وهذا يعني أنني لن أجني أي شيء من هذه الزيجة،حتى هي لن تتمكن من المساعدة في مصاريف البيت! هذه الزيجة لن تجلب إليَّ سوى الهم والغم"

- "ماذا حدث لك يا محسن؟ ما الذي جعلك تفكر في كل هذا بعد 9 سنوات، ربطت فيها هذه الفتاة المسكينة معك؟ وما الذي ذكرك بكل هذا الآن؟"

- "فلتقل ما الذي جعلني أستفيق لما ينتظرني من هم! يا جابر أنت تعلم أنني أحب زينب بالتأكيد، وكنت أحلم منذ زمن طويل أن تكون من نصيبي. منذ أن كان عمري 20 عاما، وكان عمرها 18 سنة فقط، وأنا مصر على ألا تكون إلا لي وألا تضيع مني، لكن كل سنة كانت تمر علينا، ومع كل يوم تتزايد فيه المسؤوليات التي كنت أشعر أنها تطحنني وتلقي علي بالهم، كنت أشعر بأن زهوة الحب تخبو وتضيع في دوامة الحياة. وعندما بدأت أشعر أن الزواج قد اقترب، وأن ما فات شيء والقادم شيء آخر، أكثر ثقلًا، ويحمل المزيد من المسؤوليات، بدأت أشعر أن الدنيا تضيق عليَّ، وأن الأمر كله ليس إلا قيد يفرض علي"

- "محسن أفق مما أنت فيه يا صديقي، ما أنت فيه أمر معتاد، يحدث لأغلب الرجال عند اقتراب الزواج، فيشعر الرجل بالخوف من المسؤولية وحياته الجديدة المقبل عليها، ولكنه ما إن يدخل قفص الزوجية، حتى يتأقلم تدريجيًّا مع الوضع الجديد، وتستقر حياته ويعيشها بشكل عادي، فلتهدئ أعصابك ولا تقلق، سيمر كل شيء على ما يرام، وتحيا في نكد مثلنا جميعًا يا صديقي"

انفجر الاثنان في الضحك، قبل أن يعود الوجوم مرة ثانية لوجه محسن ويقول في تردد:

- "أتعلم يا جابر.. في بعض الأوقات، يسيطر علي التفكير في الهروب من هذه الزيجة، أنقذ نفسي وأنسحب قبل وقوع الفأس في الرأس"

قاطعه جابر:

- "ما هذا الذي تقوله يا رجل؟! كيف تفكر بهذه الطريقة؟ لست أنت من يفعل هذا في بنات الناس."

- "صدقني أنا أفعل أكثر من هذا! لكن ما باليد حيلة، استسلمت لنصيبي وانتهى الأمر"!

قالها محسن ضاحكًا قبل أن يقاطعة صوت رنين هاتفه المحمول.

نظر فوجد اسم زينب على شاشة الهاتف، فرد متأففًا:

- "نعم يا زينب! ماذا تريدين؟"

جاءه صوت زينب عبر الهاتف باكيًا، وسمعها تتكلم بكلمات وسط بكائها الهستيري، فلم يتمكن من تفسير ماتقول.

- "اهدأي يا زينب، أنا لا أستطيع أن أفهم أي شيء مما تقولين. ماذا حدث؟"

استمرت زينب في البكاء واستمرت حيرته في تفسير كلامها ولكنه التقط جملة واحدة من بين كلامها المتدافع :

- "أنا أشك في أنني قد أصبت بالإيدز يا محسن"!

* * *

- "أين كنت يا زينب كل هذا الوقت؟ لقد شعرت بالقلق "

قالتها دينا حينما رأت زينب تدخل العيادة عليها ويبدو عليها الوجوم.

- "كنت أهاتف خطيبي كما أخبرتكم، ولكن الاتصال قطع فجأة، وأحاول منذ ذلك الحين أن أكلمه مرة أخرى ولكن هاتفه مغلق باستمرار، ولا أعرف ماذا يمكنني أن أفعل الآن"

- "لا وقت لديك لتضيعينه يا زينب، اذهبي أنت الآن لمستشفى الحميات بمفردك، وحاولي الاتصال به مرة أخرى وأنت في الطريق، فربما هاتفه يحتاج للشحن، ومن المؤكد أن سيعاود شحنه والاتصال بك"

قالت زينب بتردد :

- "ولكن ماذا عن العمل، فالاستراحة ستنتهي حالًا"

نظرت لها دينا بعتاب زائف وهي تقول بمرح مصطنع :

- "ألا تثقين بقدراتي؟ يمكنني إدارة العيادة بمفردي"

تلعثمت زينب وهي تقول باستحياء :

- "أنا آسفة يا دكتورة، لا أقصد هذا بالطبع ولكن"..

قاطعتها دينا وهي تضحك :

- "بالطبع يا زينب أنا أعلم هذا، أنا فقط أمازحك. والآن هيا اذهبي حتى تتمكني من الوصول سريعًا لمستشفى الحميات وبإذن الله تأخذين العلاج المناسب سريعًا، وفقك الله"

- "أشكرك جزيل الشكر "

قالتها زينب وأسرعت لتبدل ملابسها وتخرج من المستشفى.

في طريقها لباب المستشفى لمحت سماح عن بعد، فحاولت أن تنادي عليها، واعتقدت أن سماح قد التفتت إليها ولكن سرعان ما أدرات وجهها وأسرعت في المشي داخل ممر العيادات.

تعجبت زينب ولكنها أقنعت نفسها أنه من المؤكد أن سماح لم تسمعها وأنها بالتأكيد قد أخطأت حينما ظنت أنها رأتها،

فليس هناك أي سبب يدفع سماح لتتصرف معها بهذا الشكل، أو ربما هناك سبب؟ تساءلت بشك ولكنها دفعت شكوكها مؤقتًا، فما هي بصدده الآن أهم بكثير، هي الآن في حاجة لأن تسرع لإنقاذ حياتها.

* * *

رن هاتف جابر وهو بالمصنع، نظر فوجد أن زينب هي المتصلة، ارتبك وحاول تجاهل الاتصال. وبعد الإلحاح منها، واتصالها به أكثر من 10 مرات اضطر للرد عليها.

- "كيف حالك يا زينب؟ "

- "بخير، أين محسن يا حابر؟ أنا أحاول الاتصال به منذ فترة ولكن هاتفه مغلق. هل يمكنك إيصالي به الآن؟"

تردد جابر قليلًا قبل أن يقول :

- "الحقيقة لا أعرف أين هو، لم أره اليوم"..

قاطعته زينب بتعجب :

- "كيف لم تره، ألا تعملان سويًّا في قسم واحد؟"!

- "نعم أنت محقة ولكن هو اليوم لديه تدريب خارج المصنع، لذا لم أره"..

صمت للحظات قليلة ولكنها كانت كافية لتسمع زينب صوت محسن من خلفه يحادث أحدًا، هو صوت محسن بالطبع، فهل يمكنها أن تخطئ في صوت الرجل الذي أحبته وارتبطت به لمدة 9 سنوات؟!

- "هل تريدين أن أخبره بأي شيء؟ "

استطرد جابر ومازال الارتباك مسيطرًا على كل حروف كلماته.

- "وكيف ستخبره يا جابر وأنت تقول أنه خارج المصنع؟" قالتها زينب بتهكم.

ازداد ارتباك جابر، وقال وهو يتلعثم :

- "أقصد إذا عاد للمصنع يا زينب، فهو من المتوقع أن يعود إذا انتهى من التدريب مبكرًا"

قالت زينب بمرارة ساخرة :

- "شكرًا يا جابر، لقد انتهى الكلام"

* * *

- "ما أهمية هذا الحديث الذي كنت تجريه يا محسن مع صلاح؟ ولماذا كان صوتك عاليًا بهذا الشكل؟ "!

قالها جابر بكل غضب وانفعال.

- "ما مشكلتك يا صديقي؟ كنا نتحدث عن"..

- "الحقيقة لا أود أن أعلم، ولا أهتم"!

- "أنا لا أفهمك يا جابر، تسألني ثم تخبرني أنك لا تهتم؟ ماذا بك، ولماذا كل هذا الانفعال؟"

- "لقد اتصلت زينب بي"

صمت محسن قليلًا ثم قال دون أن يرفع وجهه عن الأرض :

- "وماذا قلت لها؟"

انفعل جابر وقال بعصبية :

- "الحقيقة يا محسن لم أكن أود التورط في هذا الأمر، أنت تحاول التهرب منها، وكان من الأفضل أن تواجهها، أو هذه مشكلتك تواجهها كيفما شئت، ولكنني لم أكن أريد أن أكون جزءًا منها، ولا أن أضطر للكذب عليها، لقد اضطررت لأن أقول لها أنك في تدريب خارج المصنع، ولكن يبدو أنها قد سمعتك وأنت تحادث صلاح وعلمت أنك موجود"

- "وكيف عرفت هذا؟"

- "أنت صوتك كان عاليًا، ومن المؤكد أنها قد سمعته، كما أنني شعرت في نهاية المكالمة أنها قد فهمت الأمر"

شرد محسن للحظات قبل أن يتنفس الصعداء ويقول لجابر :

- "الحمد لله أنها قد فهمت، هذا أفضل بكثير، يبدو أن الله يحبني يا جابر، وليس مقدرًا لهذا الزواج أن يكتمل، أنت رأيت حالتي هذا الصباح، لقد كنت متشائمًا من هذه الزيجة، والحمد لله، ربما أراد الله أن يحدث هذا مبكرًا حتى لا أتورط في طريق المرض معها أو أن تصيبني عدوى"

- "ولكن يا محسن أنت لم تفهم منها أي تفاصيل، لم تحاول حتى الاطمئنان عليها. كيف يمكنك التخلي عنها بهذه البساطة والسهولة؟"!

- "جابر، اسمعني، التعاطف لا ينفع في مثل هذه الحالات. لن انتظر حتى تشرح وتجذبني معها في سكة لا أريد الخوض فيها. أنا حتى لا أعرف كيف قد تكون أصيبت بهذا المرض، أليس من الممكن أن تكون قد التقطته بسبب أمر مشي"..

قاطعه جابر بغضب :

- "اصمت يا محسن، كيف تجرؤ على أن تتهمها بهذا؟ أنت محق، فعلًا يبدو أنه ليس مقدرا لهذا الزواج أن يتم، ولكن ليس لأن الله يحبك، وإنما لأنه يحب زينب"!

* * *

جلست زينب شاردة في حافلة النقل العام في طريقها لمستشفى الحميات، وأخذت تفكر في حياتها كلها .

حاصرتها التساؤلات وهي تسترجع شريط حياتها على مدار السنوات الماضية. تذكرت أحلامها التي تحطمت الواحدة تلو الأخرى، بدءًا من اضطرارها للتخلي عن حلمها بالالتحاق بكلية الطب، رغم تفوقها، بسبب مرض والدتها، وإلتزامها برعايتها مما أدى في النهاية لاستسلامها ودخولها لمعهد التمريض عوضا عن كلية الطب، ومرورًا بفاجعتها بوفاة والدتها بعد صراعها المرير مع المرض، وتحمل زينب مسؤولية أخوتها من الرعاية، وعدم توانيها عن مساعدة والدها في التزاماته المادية، ثم ارتباطها بشخص ظنت

أنه سيحنو عليها ويعوضها عما لاقته من شقاء كل هذه السنوات، ولو حتى معنويًا، ولكن بدلًا من هذا كان دائمًا ما يحطم آمالها وأحلامها الوردية على صخرة الواقع المريرة، بالإضافة إلى ظروفه الصعبة التي أدت لانتظارها 9 سنوات حتى يتحقق حلمها بالزواج والاستقرار، والتقاط أنفاسها بعد كل هذا التعب، وفي الوقت الذي ظنت أنها قد أقتربت من الوصول لحلمها، تفاجأ بهذه الأزمة التي تقلب لها كل الموازين، ويتخلى عنها الرجل الذي كان على وشك أن يصبح زوجها بعد شهر واحد فقط!

تساءلت بينها وبين نفسها؛ هل سوء الحظ مقدر على بعض الأشخاص دون غيرهم؟ فهل هناك من يكتب عليهم أن يولدوا ويحييوا في شقاء وتكون نهايتهم أكثر بؤسا، بينما غيرهم يولد وفي فمه ملعقة من الذهب، ويحيا حياة سلسة، وناعمة، لا يرى فيها أي من منغصات الحياة؟!

استغرقت في أفكارها وتساؤلاتها، ولم تفق منها إلا على صوت الكمسري وهو يقول بصوت عالٍ: "الحميات."

* * *

دائمًا ما كانت زينب تسمع جملة "غضب الله واضح على ملامح فلان" ولم تكن تفهمها أبدًا، بل وكانت تستعجب من هذا المعنى جدًّا، فكيف يمكن لغضب الله أن يتجسد في وجه شخص ما؟!

لكنها عندما قابلت الدكتورة سناء عبد الرحيم، المسؤولة عن صرف الدواء بمستشفى الحميات، تمكنت من فهم هذه الجملة التي حيرتها طويلًا!

لم تكن ملامح سناء الدميمة هي ما جعلتها تربط بينها وبين تلك الجملة، وإنما كان وجهها المكفهر والذي غطاه العبوس الشديد، مما زاد ملامحها رهبة، وألقى في قلب زينب الرعب وزاد من توترها.

حاولت زينب التغلب على توترها وبدأت في شرح ما حدث لسناء، والتي أخذت تنصت لها بلا اكتراث، ولم يبد على وجهها أي من علامات التفاعل أو التأثر وهي تسمع زينب تحكي بحرقة تفاصيل ما حدث لها بداية من إصابتها بوخزة من إبرة مريض، ثم شكوكها في أن هذا المريض قد يكون مصابًا بالإيدز.

- "وما المطلوب الآن؟!" قالتها سناء بلا مبالاة.

- "لقد علمت أن هناك عقار يمكنني تناوله قبل مرور 72 ساعة من الإصابة قد يحميني من هذا المرض"

ضحكت سناء بسخرية وقالت:

- "وهل تظنين أنني سوف أفتح درج مكتبي وأخرج الدواء منه لأعطيه لك بمنتهى البساطة؟"

تلعثمت زينب وقالت:

- "لا أعرف ما الاجراءات بالتفصيل ولكن نعم أتوقع أن تصرفي لي الدواء، فلقد حكيت لك كل شيء بالتفصيل"..

قاطعتها سناء بمزيد من التهكم:

- "يا عزيزتي بافتراض أن روايتك صحيحة، فلا يمكنني صرف لك الدواء دون تحليل طبي"

- "أنا مستعدة للتحليل حالًا، إلى أين أذهب؟"

قهقهت سناء وقالت:

- "كم أنت ساذجة! هل تظنين أن تحليلًا بعد ساعات قليلة من إصابتك قد يظهر نتيجة إيجابية بهذه السرعة؟! الأمر قد يستغرق أسابيعًا، وربما شهورا وسنينًا قبل أن تكون نتيجة التحليل إيجابية في حالة إصابتك بالفعل"!

تبدلت ملامح زينب وقالت برعب:

- "وما الحل؟"!

- "ليس هناك سوى حل واحد فقط، أن يأتي المريض المشكوك في أمره إلى هنا ويقوم بعمل التحليل داخل معامل المستشفى لأن أي تحليل خارجي لن يعتد بنتيجته، وإذا ثبت إصابته بالإيدز، ربما يمكن حينها صرف الدواء لك"

شعرت زينب بأن أبواب الدنيا كلها قد صكت في وجهها، وبدأت في النحيب وهي تتوسل لسناء أن تتغاضى عن الإجراءات الروتينية، وتتعامل مع الأمر بإنسانية أكثر، فكيف تضمن أنها ستتمكن من إقناع المريض بعمل التحليل.

- "أرجوك أنقذيني وأنقذي عائلتي، فأبي وأخوتي ليس لهم سواي، لا تتركيني أموت أتوسل إليك، أنا كنت عروس على وشك الزواج خلال شهر، فلا تجعليني أزف للسماء بدلًا من عريسي"!

وكأن هذه الجملة الأخيرة كانت مثل البنزين الذي سكب على النار، ففي هذه اللحظة فقدت سناء أعصابها وصرخت في زينب بكل قسوة:

- "ليس لدي سوى ما قلته، لا تعودي إليّ إلا ومعك نتيجة تحليل المريض، بدون هذا لا أريد أن أراك هنا مرة أخرى"!

* * *

على باب المستشفى وقفت زينب تنظر حولها في حالة من الذهول، لا تعرف كيف تفكر، ولا كيف يمكنها أن تتصرف، بل لا تعرف إلى أين تذهب! هل تحاول الاتصال بمحسن مرة أخرى، فربما كانت ظنونها غير صحيحة؟ لا لو كانت ظنونها غير صحيحة لاتصل بها محسن من نفسه بعد انقطاع الاتصال! هل تستنجد بوالدها؟ كيف يمكنها أن تصدمه بهذا الخبر؟! لا يمكنها أن تفعل هذا به، فقد لا يتحمل قلبه الضعيف هذا القلق، وكيف سيساعدها أصلًا وهو قليل الحيلة، فقد اعتاد دائمًا على الاعتماد عليها، منذ وفاة والدتها، في التصرف في كل الأمور الجللة.

قطع شرودها المحموم بالتساؤلات رنين هاتفها، لتجد رقمًا لا تعرفه. زحف بصيص من الأمل إلى قلبها، وهي تظن أن ربما يكون المتصل هو

محسن، وقد لجأ لهاتف أحد زملائه بعد انقطاع شحن هاتفه. ردت لتسمع صوتًا غريبًا لم تميزه يسألها :

- "ما الأخبار يا زينب؟ ماذا فعلتِ بمستشفى الحميات؟"

تعجبت من معرفة من تحادثها بالأمر فسألت باندهاش :

- "من؟"

- "أنا دكتورة دينا يا زينب، لقد حصلت على رقمك من سماح لأطمئن عليك. أخبريني هل أخذتي الدواء؟"

أعاد سؤال دينا كل حالة الانهيار لزينب فأجهشت بالبكاء وقالت من وسط دموعها لدينا :

- "يبدو أنني لن أتمكن من أخذ الدواء، سأموت يا دكتورة"

حاولت دينا تهدئتها، وبدأت زينب في قص ما حدث بينها وبين الدكتورة سناء واشتراطها الحصول على نتيجة تحليل إيجابية للمريض من المستشفى.

صمتت دينا قليلًا ثم قالت لزينب :

- "هل يمكنك أن تعودي للمستشفى عندي؟"

قالت زينب بتردد :

- "نعم.. ولكن لماذا؟"

- "الحقيقة لا أعرف يا زينب، ولكن تعالي كي نفكر كيف يمكنك التصرف، ومن المؤكد أننا سنصل لحل بإذن الله، ولكن أسرعي حتى لا يضيع الوقت"

* * *

- "اسمعي يا زينب يجب أن نصل للمريض، ونقنعه بأي شكل أن يذهب لعمل التحليل فورًا "

باغتت دينا زينب بهذه الجملة فور أن رأتها تدخل عليها من باب العيادة.

- "هل تعتقدين أنه سيوافق على عمل التحليل بهذه السهولة"

- "سنعمل جاهدين على أن يوافق، لن نتركه حتى يذهب معنا للمستشفى ويقوم بعمل التحليل، ما يهم الآن أن نحاول الوصول إليه فورًا"

أخرجت زينب ورقة بيانات المريض من حقيبتها، فأخذتها دينا منها وطلبت رقم الهاتف المدون، لتسمع الرسالة :

"الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا."...

قامت عدة مرات بتكرار المحاولة ولكن في كل مرة كانت تجيبها تلك الرسالة اللعينة!

نظرت لزينب ووجدتها في حالة مزرية، فقد كانت تبدو وكأنها على وشك الانهيار. شعرت بالاشفاق الشديد عليها، فقالت ببعض الحماس :

- "هيا يا زينب"!

ردت زينب عليها بوهن شديد:

- "إلى أين؟"

- "سنذهب إليه بأنفسنا، لدينا العنوان لنتجه إليه ونحادثه وجهًا لوجه، وربما تكون هذه فرصة أفضل حتى لا يتمكن من التهرب منا، ونستطيع أن نأخذه مباشرة لعمل التحليل"

وجدت زينب الفكرة منطقية فقامت مع دينا التي التقطت حقيبتها، وخرجت مع زينب في خطوات سريعة في اتجاه باب المستشفى.

هما بالخروج من الباب حينما سمعا صوتًا من خلفهما يسأل :

- "هل كل شيء على ما يرام؟"

التفتت الاثنتان لتجدا أسامة واقفًا بابتسامته العذبة، وأكمل كلامه إلى زينب :

- "هل وصلتي للدواء؟"

* * *

كان والد زينب يجلس أمام نافذة شقتهم المتواضعة شاردًا وهو يحتسي كوبًا من الشاي، عندما رأي محسن يدخل الشارع بمفرده.

ألقى الأب نظرة سريعة على ساعته، فوجد الوقت مازال مبكرًا على عودة زينب مع خطيبها محسن كما اعتادا كل يوم.

أوجس قلبه قلقًا، ولكنه حاول أن يطمئن نفسه، فربما اضطر محسن للعودة مبكرًا لأي سبب ولذا لم تتمكن زينب من ترك عملها والعودة معه.

نادى على محسن ليسأله، ولكن لم يعره الثاني أي انتباه، ولم تبدو منه أي التفاتة نحوه.

"يبدو أنه متعجل من أمره ولذا لم يسمعني" قالها الاسطى محمد مطمئنًا لنفسه.

- "متى ستعود زينب يا أبي؟" باغته مالك، شقيق زينب الأصغر بالسؤال، مقاطعًا استرساله في أفكاره.

- "يا مالك أنت تعرف أنه مازال هناك ساعتين حتى موعد عودة زينب من عملها. لماذا هذا السؤال المتكرر كل يوم؟"

- "ولكني جائع"!

- "وأيضًا أنت تعلم أننا في انتظار أشقائك الأكبر خلال دقائق، وفور وصولهم سأقوم أنا بتسخين الطعام الذي جهزته زينب مسبقًا، وستأكل خلال ربع ساعة على الأكثر، فلم تسأل عن زينب يا صغيري؟"

- "أنا أريدها أن تعود يا أبي، لقد وعدتني أن تحضر لي بعض من الحلوى اليوم"

ضحك الأب وقال :

- "إذا كل ما يهمك هو الحلوى؟"!

- "طبعًا أنا أريد الحلوى، ولكني أريد زينب أيضًا، زينب هي أكثر من أحب من أخوتي. بل هي أكثر من أحب في كل هذه الدنيا"

- "تحبها أكثر مني يا مالك؟" قالها الأب مازحًا.

تلعثم مالك ثم قال:

- "أحبك يا أبي ولكني أحب زينب كثيرًا، فهي أكثر من يعتني بي، ولم أطلب منها أي شيء أبدًا إلا وأحضرته لي، أنا أحب الجلوس معها وأن أحكي لها ما حدث كل يوم في المدرسة، لذا أنتظر رجوعها كل يوم بفارغ الصبر، لا أتخيل أنها سوف تتركنا الشهر المقبل، أنا لا أريدها أن تتزوج وتتركنا"

شرد ذهن والده مع جملته الأخيرة، فهو نفسه يشارك مالك نفس شعوره، فبالرغم من فرحته بقرب استقرار ابنته وزواجها، فهو يتمنى أن تبقى معهم وألا تتركهم. فزينب هي سنده ومن تشاركه كل هموم الدنيا بعد وفاة زوجته، كما إنه يعتمد عليها في كل شيء، لدرجة أنه أحيانًا يشعر أنها أمه وليست ابنته، فمن فرط حنيتها عليه وعلى إخوتها، وشخصيتها المتحملة للمسؤولية، وحنكتها في التصرف في أغلب المشاكل التي تواجههم، فقد أصبح يلجأ إليها في كل الأمور، ويوكلها حل مشاكل إخوتها سواء في دراستهم أو في تربيتهم.

والآن وقد اقترب زواجها، هو يشعر كالطفل الصغير الذي أوشك على فقد أمه، كيف سيمكنه التعامل بدونها في كل شيء؟

أنه يحاول طوال الوقت مقاومة التفكير بهذا الشكل، ففي النهاية هو يتمنى كل السعادة لأبنته، وليس هناك أفضل من أن يراها سعيدة في بيت زوجها، ويعزيه أنها لن تبتعد عنه، ففي نهاية الأمر، ستقيم في شقة محسن، والتي تعلو شقة أهله، بالمنزل المقابل.

تنهد عندما ذكر نفسه بهذا الأمر، ولكن في نفس الوقت ذكره هذا بعودة محسن المفاجئة، وبدأ القلق يحبو مرة ثانية إلى نفسه.

* * *

- "كيف تفكرين أنه يمكنك مواجهته بمفردك؟"!

تساءل أسامة مستنكرًا، بعدما حكت له زينب كل ما حدث سريعًا، وأخبرته بنيتها أن تذهب لمقابلة وائل، ومطالبته بعمل التحليل فورًا.

تنحنحت دينا وقالت:

- "لن تذهب بمفردها يا دكتور. لهذا السبب أنا سأرافقها حتى لا تضطر لمواجهته بمفردها"!

زاد استنكار أسامة وهي ينظر إليها مما أحرجها كثيرًا وجعلها تشيح بنظرها إلى الأرض.

شعر بإحراجها، فقال موضحًا:

- "يا دكتورة، لقد أحسنت بعرضك مرافقتها وعدم تركها للذهاب بمفردها، ولكن المشكلة أن هذا الشخص الذي أنتم بصدد مقابلته، شخص

سلوكه مشبوه، وهو غارق في طريق الإدمان منذ فترة، ونحن نشك في إصابته بالإيدز، لذا فلا نعرف ماذا سيكون رد فعله، وخاصة إذا كان في مواجهته شابتان بمفردهما، لربما تطاول عليكما"

عقلت دينا لثوانٍ كلامه، فوجدته محقًّا، فعقبت :

- "معك حق، ولكن ما الحل؟"

- "أين خطيبك يا زينب؟ ألم تخبرينا منذ عدة ساعات أنك ستحادثيه ليأتي إليك؟"

بدا الارتباك والوجوم على وجه زينب، وتداركت دينا الموقف وردت هي بدلًا منها :

- "لم تستطع زينب إخباره حتى الآن، فيبدو أن هاتفه قد انقطع شحنه."

- "أليس لديك من بين أقاربك من يمكنه مصاحبتك؟ "

ردت زينب بنبرة حزينة :

- "ليس لدي سوى والدي، وأنا لا أستطيع مواجهته بهذه الحقيقة المرعبة، كما أني لا أريد جره في مواجهات مثل هذه، فهو كبير في السن، وأخاف على قلبه من كل هذا التوتر"

صمت أسامة قليلًا قبل أن يقول :

- "حسنًا سأذهب معكما"

بدا التردد على وجه الفتاتين، ونظرتا لبعضهما البعض نظرات متسائلة وهمت دينا بقول شيء عندما قاطعها مرور سليم، أحد العاملين بالمستشفى والذي ألقى السلام عليهم جميعًا وصافح أسامة قبل أن يتركهم ويمشي.

- "اللعنة!" قالها أسامة بعصبية.

- "خير يا دكتور؟" قالتها زينب، وقد توترت.

- "لقد أفسد هذا اللعين خطتي بخطفكما! الآن وقد رآني معكما سيبلغ عني في حال اختفائكما"

فغرت الفتاتان فاهيهما ذهولًا وهما ينظران إليه قبل أن ينفجر ضاحكًا، وتدرك دينا مزاحه فيحمر وجهها خجلًا، وتبتسم، بينما نظرت إليه زينب بوجه خال من التعبير، فتوقف عن الضحك وقال:

- "هيا بنا كي لا نضيع الوقت."

* * *

دخل محسن حجرته وأغلق الباب عليه هربًا من ثرثرة والدته، وسؤالها له عن سبب عودته مبكرًا هذا اليوم.

أشعل سيجارة وهو يفكر في موقفه مع زينب، هل كان جابر محقًّا حينما طالبه بالاستفهام أولًا من زينب عما حدث، وفهم الموضوع بالتفصيل؟ أنه حتى غير متأكد من إصابة زينب بالإيدز، فكلماتها قبل أن ينهي الاتصال كانت أنها تشك في إصابتها!

متى أصيبت وكيف أصيبت؟! تلاحقت التساؤلات على رأسه حتى اقتربت سيجارته على الانتهاء، وبدأ يشعر بالندم أنه لم يعط نفسه الفرصة ليعرف إجابة هذه الأسئلة، ولكنه سرعان ما نفض شعوره بالندم هذا، ففضوله لمعرفة الاجابات لا يساوي تورطه بما لا يريد تحمل تبعاته. أكد على نفسه ماذكره لجابر من قبل؛ هو من الأصل كان قلقًا من مسؤوليات الزواج العادية، فكيف يقحم نفسه في مشكلة أكبر، تضمن دخوله في عواقب مرض خطير مثل هذا؟!

بل على العكس، أنه الآن يشعر براحة لم يشعر بها منذ سنوات عديدة، يشعر أنه قد تم إطلاق سراحه، فلا حمل هم نفقات زواج ولا التزامات بعد الآن، ولا شعور بضغط من اقتراب موعد الزفاف.

يكفي أنه اليوم عاد إلى بيته دون أن يضطر لأن يمر على زينب في المستشفى ليعيدها معه إلى البيت بدراجته البخارية! لقد وفر عليه هذا نقود الوقود الإضافي كما منحه وقتًا أكبر ليعود لبيته سريعًا ويرتاح! نعم، كم هو مرتاح الآن!

نمت على شفتيه ابتسامة صغيرة وهم باشعال سيجارة جديدة، ولكنه قرر أن يدخل سريره ليغفو، وينام ضميره معه، بل ويموت،دون أدنى احساس بالذنب!

* * *

وصل أسامة إلى عنوان وائل، والذي حصلوا عليه من موظفة الاستقبال، وتبعته دينا في سيارتها مع زينب، بعد أن أصرت دينا على أن يذهبا بسيارتها وراءه، بدعوى عدم اضطرارها للعودة مرة أخرى للمستشفى، ولكن هي تعلم جيدًا أن السبب الحقيقي هو خجلها الشديد من أن تذهب معه في سيارته.

ترجل أسامة من سيارته، وأشار لهم بيده أن يبقوا وينتظروه في السيارة، وأتجه هو إلى بواب العمارة ليسأل عن وائل.

لم يجد البواب جالسًا أمام العمارة، فدخل إلى مدخل العمارة يبحث عنه، وغاب دقائق قبل أن يعود وعلامات الخيبة بادية على وجهه.

امتقع وجه زينب، ولم تقوى على الانتظار فنزلت من السيارة وأسرعت نحوه وتبعتها دينا.

- "خير يا دكتور؟"

- "البواب يقول أنه خرج منذ الصباح ولم يعد حتى الآن"

- "وما العمل الآن؟ كيف سنصل إليه؟! الوقت يمر وقد لا يعود الآن"

- "اهدأي يا زينب سنجد حلا بإذن الله" قالتها دينا في محاولة لطمأنتها، ثم وجهت كلامها لأسامة: "دكتور أسامة، أنت قلت أن لك سابق معرفة به، أليس لديك أي وسيلة أخرى للاتصال به؟"

صمت أسامة قليلًا وهو يفكر قبل أن يقول:

- "علاقاتي به ليست وطيدة، فهو مجرد عميل لدى صديقي في صالة الألعاب الرياضية التي يعمل بها، وكان يريد أن يقوم بعمل بعض الفحوصات فأرسله لي سابقًا وقابلته مرة أو مرتين لا أكثر"

- "حسنًا، فصديقك يعرفه، ربما لديه أي معلومات أخرى عنه، أو قد يكون لديه رقم آخر غير الذي نحاول الاتصال به، هل من الممكن أن تتصل بصديقك وتسأله؟ فأي معلومة قد تفيدنا الآن وتوفر لنا بعض الوقت"

- "بالطبع، هذه فكرة جيدة"

قالها أسامة وأخرج هاتفه على الفور ليتصل بسراج

* * *

كان سراج يتابع أحد المتدربين لديه، عندما سمع صوت هاتفه من بعيد يرن، ألقى عبارة تشجيع للمتدرب قبل أن يتركه ويذهب ليجيب على هاتفه.

تهلل وجهه عندما رأى اسم أسامة، وظهر هذا على صوته وهو يقول:

- "لابد أنني محظوظ للغاية، مكالمتين في يوم واحد؟"

- "أين أنت يا سراج؟ أنا حاولت الاتصال بك عدة مرات دون جدوى"

شعر سراج بالقلق من نبرة أسامة، فباغته بالسؤال:

- "خير يا أسامة، ماذا حدث؟ لقد أقلقتني"

- "اسمعني جيدًا يا سراج، سألتك صباحًا عن وائل الخربوطلي، وأعطيتني رقمًا له بالفعل، لكن هل لديك أي رقم آخر له أو أي وسيلة اتصال يمكننا الوصول إليه عن طريقها؟"

- "ما الحكاية يا أسامة؟ ما سر سؤالك المتكرر عنه؟"

- "سأخبرك فيما بعد يا سراج، والآن أجبني هل تعرف كيف يمكنني الوصول إليه فورًا؟"

- "ليس لدي أي أرقام أخرى سوى ما لديك يا أسا"..

قاطعه أسامة متعجلًا:

- "حسنًا شكرًا يا سراج"

وهم بإغلاق الهاتف عندما سمع سراج يقول مستوقفًا:

- "انتظر، أنا لا أفهم سر كل هذا الغموض وتعجلك، أنت لم تعطني فرصة لأكمل كلامي! وائل سيأتي بعد قليل للتدريب معي هنا في الصالة، يمكنني أن أجعله يتصل بك حين يأتي"

- "هل أنت متأكد مما تقول يا سراج؟ كيف عرفت هذا؟"

- "لقد زارني هذا الصباح، وأخبرني أنه يريد أن يعاود التدريب معي مرة أخرى كما كان يفعل في الماضي، ولكنه كان يشعر ببعض الضيق من البنج، لأنه كان قد قام بحشو ضرسه اليوم، فأخبرني أنه سيذهب ليقوم لإنجاز بعض الأعمال حتى يذهب مفعول التخدير، ثم يعود للتدريب"

صمت أسامة قليلًا وهو يفكر ثم قال ببطء:

- "ولكن هذا غير مضمون، فربما يغير رأيه ولا يعود اليوم"

- "سيعود، لا تقلق"

- "ما الذي يجعلك متأكدًا هكذا؟"

- "لقد نسي هاتفه هنا، ومن المؤكد أنه سيعود ليأخذه حتى وإن كان قد غير رأيه بخصوص التدريب"

* * *

ألقت دينا نظرة على زينب الجالسة بجوارها في السيارة في طريقهم لصالة سراج الرياضية، فوجدتها شاحبة والدموع متحجرة في مقلتيها، تحاول حبسها، فأشفقت عليها وأرادت أن تحاول إلهائها قليلًا، والحديث معها في اي موضوع فسألتها:

- "هل دكتور أسامة يعمل بالمستشفى منذ فترة طويلة؟"

ردت زينب وهي شاردة :

- "هل هناك من لا يعرف دكتور أسامة؟ هو يعمل بالمستشفى منذ حوالي ثلاث سنوات"

تعجبت دينا من رد زينب، وقالت معقبة :

- "ماذا تقصدين بأنه لا يوجد من لا يعرفه؟ هل هو مشهور لسبب ما؟"

تساءلت بخجل من لا يعرف شيئًا معلوم للجميع دونها.

- "هو مشهور بطيبته وكرم أخلاقه، وروحه المتباسطة مع الجميع، بعكس الكثير من الأطباء الآخرين الذين يعزلون أنفسهم في أبراج عالية بعيدة عن كل العاملين بالمستشفى "

قالت الجملة الأخيرة وهي تلقي نظرة خاطفة على دينا ثم تعاود الحديث

- "فهو دائمًا ما يقف ليصافح من يقابله، من أكبر طبيب بالمستشفى لأصغر عامل بها، وكثيرًا ما يشارك الجميع في مناسباتهم، ويدفع بسخاء في حالة ما تم جمع مبلغ لصاحب المناسبة، ولا يتوانى أبدًا عن مساعدة أي شخص يحتاج لمساعدته،هل تعرفين؟ حينما ماتت والدتي لم يكن قد مضى على عمله بالمستشفى أكثر من شهر، ولكن مع ذلك عندما علم بالأمر وبالطبع لم يكن يعرفني من قبل مطلقًا، فقد أصر على حضور العزاء، ومازلت ممتنة له حتى هذه اللحظة على هذا، وله مواقف كثيرة مشابهة مع الكثير من الناس بالمستشفى، لذا فهو محبوب جدًّا من الكل والجميع يعرفونه ويحبون التعامل معه"

- "هذا أمر غريب جدًّا، أنا لم أسمع عنه ولم أصادفه من قبل، واليوم كانت أول مرة أراه بالمستشفى"!

- "هو بالفعل أمر غريب، ولكن قد يكون السبب أنك لا تختلطين بالناس؟"

شعرت زينب ببعض الندم بعد هذه الجملة، ولم تعرف كيف تتداركها وصمتت دينا قليلًا ولم تعرف بم ترد، وأنقذهما هما الاثنان توقف سيارة أسامة أمام مبنى من طابق واحد، وعليه لافتة صفراء مكتوب عليها باللون الأحمر"Cheers Gym"

* * *

خرج أسامة من صالة الرياضة، واتجه نحو سيارة دينا حيث كانت في انتظاره مع زينب على الجانب الآخر من الشارع، وقبل أن يصل للسيارة كانت زينب قد فتحت الباب وخرجت في اتجاهه وتبعتها دينا.

أشار لهما بيده أن يعودا للسيارة، ولكن بدلًا من ذلك، فقد همت زينب أكثر في اتجاهه، وسألته بقلق عما حدث

- "لم يأتِ بعد" قالها أسامة، وهو يسير بهما في اتجاه سيارة دينا مرة أخرى "فلتبقيا بالسيارة أفضل"

أومأت دينا برأسها موافقة، وأخذت بيد زينب للسيارة، ولكن قبل أن تفتح الباب لها، قالت زينب بحالة أقرب للهذيان:

- "ماذا لو لم يأتِ أبدًا؟ ماذا لو كان قد عرف بشكوكنا فخاف، وهرب؟ ماذا لو لم أتمكن الوصول إليه ومرت الاثنان وسبعون ساعة؟ ماذا لو"..

قاطعتها دينا:

- "اهدأي يا زينب، أنا أقدر انزعاجك وقلقك الشديد ولكن ما تقولينه ليس منطقيًّا على الإطلاق! فكيف يمكنه أن يعرف أي شيء عما حدث وعن شكوكنا؟ بإذن الله سيأتي كما قال، على الأقل من أجل هاتفه، لا تقلقي سنظل في انتظاره إلى أن يأتي مهما طال الوقت"

- "يبدو أننا لن نضطر للانتظار"

نظرت الفتاتان لأسامة ووجهما تملؤه الدهشة والاستفهام، فأشار لهما برأسه لينظرا خلفهما، ليجدا وائل الخربوطلي قد اصطف سيارته على مسافة منهم، وهبط مترجلًا ليعبر الشارع في اتجاه صالة الرياضة.

- "انتظراني هنا،سأعود وهو معي، لا تقلقي يا زينب"

* * *

هم سراج واقفا حينما رأى وائل مقبلًا عليه، وأسرع إليه ليصافحه وهو يقول :

- "أين أنت يا وائل؟ نحن في انتظارك منذ فترة طويلة"

ابتسم وائل وقال :

- "لقد كان لدي عدة أشياء عليَّ إنجازها، كما إنني فقدت هاتفي اليوم، وضاع نصف وقتي وأنا أحاول البحث عنه دون جدوى"

قهقه سراج وهو يقول :

- "كم أنت شارد الذهن يا وائل! لقد تركت هاتفك هنا"

- "سبحان الله، لقد بحثت عن الهاتف في أماكن كثيرة اليوم، ولكن لا أعرف لم لم يخطر ببالي أنني قد أكون نسيته هنا"!

- "ربما هذا من حسن حظنا نحن "

سمع وائل هذه الجملة من خلفه، فالتفت ليجد أسامة واقفا وراءه وعلى شفتيه ابتسامة باهتة.

- "دكتور أسامة! كيف حالك؟ لم أرك منذ فترة طويلة"

- "أهلًا أ. وائل. أنا بخير والحمد لله. هل يمكنني محادثتك قليلًا على انفراد"

تنحنح سراج ثم قال وهو يقوم من مكانه :

- "سأذهب لأتفقد المتدربين"

نظر وائل لأسامة متسفسرًا وانتظر حتى ابتعد سراج ثم قال :

- "خير يا دكتور أسامة؟ لقد أقلقتني"

- "اعذرني، سأدخل في الموضوع مباشرة فليس لدينا وقت كبير لنضيعه، أريد أن أطلب منك طلبًا وأرجو ألا تخذلني"

بدا الاهتمام على وجه وائل، وقال متأنِّيًا :

- "بالطبع تفضل يا دكتور"

* * *

الانتظار، ذلك الضيف الثقيل الذي يجثم على أنفاس أي شخص فيجعله يمر بواحدة من أقسى اللحظات وأصعبها، ففي تلك اللحظات يشعر المنتظر وكأن عقارب الساعة قد توقفت لتعانده، فمهما كانت مدة الانتظار، طالت أو قصرت، فدائما ما يشعر ذلك المترقب بأنها من أطول فترات حياته، فيركض فيها روحه وعقله، بينما يقف هو عاجزًا لا حول له ولا قوة.

هكذا شعرت زينب وهي تتنظر مع دينا في السيارة خروج أسامة بوائل.

تزاحمت الأفكار والتساؤلات في رأسها، هل سيتمكن أسامة من اقناعه؟ هل سيكون وائل رحيمًا بها ويوافق ببساطة على إجراء التحليل؟ ماذا لو لم يوافق؟ هل وكيف وماذا.. أسئلة كثيرة اختتمتها بالسؤال الأكثر إلحاحًا على تفكيرها: متى سيخرجا لترتاح من كل هذه التساؤلات وتحسمها حتى ولو بالسلب قبل أن تنفجر رأسها من التفكير!

كانت دينا تشاركها نفس التوتر والضجر الشديد من لحظات الانتظار القاتلة، ليس فقط لترقبها وقلقها من عدم تمكن أسامة من إقناع وائل، ولكنها كانت تشعر بأن هذه اللحظات قد ألقت على عاتقها مسؤولية إخراج زينب من توترها وإلهائها بأي شكل، ولكن لأن دينا لم تكن بارعة قط في بدء وإجراء الحوارات، فقد زاد شعورها بالتوتر ومرت عليها الدقائق وكأنها دهرًا .

- "لقد فهمت من كلامك مسبقًا يا زينب أنك مخطوبة، فمتى تتزوجين؟ "

كان هذا ما تفتق عنه ذهنها لتحاول جر زينب إلى الحوار معها، ولكن يبدو أنها لم تكن موفقة تمامًا في اختيار هذا الموضوع، فما إن ألقت هذا السؤال حتى اكتست ملامح زينب بالانكسار، وألقى الحزن ظلاله عليها، وصمتت قليلًا قبل أن تقول :

- "كان من المفترض أن يتم زواجي بعد شهر بالتمام من اليوم، ولكن يبدو أن هذا لن يحدث"

- "لا تقولي هذا يا زينب، سيصبح كل شيء على مايرام، وسيتم زواجك في ميعاده بإذن الله"

لم تجب زينب، وداهمتها الأفكار من كل جانب، وعاد الصمت ليلف السيارة، ولم تجد دينا ما يساعدها على كسره من جديد.

* * *

- "أنا متعاطف للغاية مع هذه الممرضة، وأود مساعدتها بأي شكل، يمكنني أن أعطيها مبلغًا كبيرًا من المال على سبيل التعويض"

- "يا أستاذ وائل المال لن يحل مشكلتها، والأمر أبسط من هذا، كل ما عليك فعله هو مجرد تحليل، هذا أيضًا من مصلحتك، فلو كانت النتيجة إيجابية فربما كان من الأفضل لك أن تعرف هذا"

- "من الأفضل لي أن أعرف؟! كيف يكون هذا وهو مرض بلا علاج؟ أنا آسف يا دكتور لن أستطيع أن أقوم بإجراء التحليل. أنت لا تتخيل ما مررت به في الفترة السابقة، لقد عانيت كثيرًا كي أستطيع التغلب على الإدمان واسترجاع حياتي من جديد. لقد عاهدت نفسي أن أبدأ من جديد وأعيش حياتي بشكل أفضل"

- "هذا شيء رائع، وأعتقد أنه كي تعيش حياتك بشكل أفضل، يجب عليك أن تكون على قدر المسؤولية وتنقذ حياة تلك الفتاة المهددة بسببك"

- "أنت لا تفهم يا دكتور، أنا على وشك خطبة فتاة لأتزوج وأستقر، والآن أنت تخبرني أنه هناك احتمال أن أكون مصابًا بالإيدز؟! هل تعلم ماذا

يعني هذا لو كان صحيحًا؟ سأفضح، سأعيش منبوذًا وأغدو وحيدًا، كيف سأستطيع أن أعيش حياتي بشكل طبيعي بعد كل هذا؟"!

- "هل تعني أن لديك استعداد لتتزوج فتاة بريئة، وهناك احتمال أن تكون مصابًا بالإيدز، وتكون مسؤولًا عن نقل المرض لها وربما إلى أطفالك إذا رزقك الله بهم؟"!

- "إن موضوع الإيدز هذا ما هو إلا مجرد شكوك لديك، وليس لديك أي دليل عليه، لن أدمر حياتي كلها بسبب أوهام عندك"!

- "أستاذ وائل، أنت محق، وهذه الأوهام يمكن أن تنفيها وتطمئن نفسك بعمل التحليل وفي نفس الوقت تكون قد طمأنت الممرضة المسكينة"

- "اسمعني يا دكتور، ليس لدي أي استعداد لعمل التحليل، لا أريد التورط في اجراءات عمله، ماذا لو كان إيجابيًّا وتم ملاحقتي قانونيًّا، أنا لا أعرف ماذا يحدث في تلك الحالات، ولكن من المؤكد أن الأمر لن يمر ببساطة، أنا شخص من عائلة كبيرة ومعروفة، لا أريد أن أجلب العار والفضيحة لعائلتي"

- "أعذرني يا أستاذ وائل ولكن لو حدث أي مما ذكرت فهذا سيكون نتاج عملك، وجراء ممارساتك الخاطئة في حياتك السابقة، وأعتقد أنه لو كان هناك من يجب أن يتحمل عواقب كل هذا فبالتأكيد لن تكون تلك الممرضة التي لا ذنب لها على الإطلاق سوى حظها العثر الذي جمعها بك بحكم عملها"

- "لقد قررت التوبة ولن أعود مطلقًا لما فعلت، وها أنا أطوي تلك الصفحات السوداء من حياتي، فأرجوك اتركني لأمضي فيما نويته ولا تدخلني في متاهات أنا في غنى عنها! أنا حقيقي مقدر قلق هذه الممرضة وكما ذكرت على استعداد لتعويضها بمبلغ مالي كبير، دعها تحدد رقمًا وسأدفع لها أكبر منه"

لم يشعر أسامة بنفسه وقد غلى الدم في عروقه، وبكل قوته وجه لكمة قوية إلى فك وائل وقال بكل غضب :

- "أنت إنسان حقير"!

وقع وائل على الأرض محدثًا جلبة لفتت انتباه كل من بالصالة ودفعت سراج للإسراع نحوهما مندهشا.

- "ماذا حدث يا أسامة؟ "!

قالها سراج وهو يساعد وائل على النهوض والذي بدأ الدم يسيل من فمه، فقال وهو يمسحه :

- "لم يحدث شيئ يا سراج، أنا مضطر للذهاب"

وقبل أن يجيبه أي منهما كان قد أسرع بالخروج من الصالة، واتجه لسيارته ولكن قبل أن يصل إليها لمح دينا وزينب يقفان بجانب سيارة دينا، فعرفهما، وقبل أن يحاول تجنبهما كانت زينب قد أسرعت في اتجاهه فدخل سيارته بسرعة وهو يقول لها :

- "أنا آسف"

وانطلق بسيارته قبل أن تستوعب الموقف.

في هذه اللحظة خرج أسامة راكضًا خلفه، يتبعه سراج، ورأى سيارته تمر من أمامه، فضرب الأرض غضبًا بقدمه.

رفع رأسه فالتقت عيناه بعيني زينب الزائغتين، فاتجه إليها، مطأطأ الرأس لا يعلم كيف يواجهها، واقتربت دينا فقال وهو ينظر للأرض:

- "لقد خذلتك يا زينب، أنا آسف"

شهقت دينا شهقة قوية وهي ترى زينب تنهار أمامها فاقدة الوعي، ولكنها تمكنت من الامساك بها، بمساعدة أسامة ليحمياها من السقوط أرضًا.

* * *

- "لقد كان يومًا عصيبًا بالفعل مليئًا بالأحداث الصعبة، من المؤكد أن أعصابها لم تحتمل كل هذا"

أفاقت زينب على صوت دينا وهي تقول تلك الجملة، وفتحت عينيها لتجد نفسها في مكتب مجهول بالنسبة لها، نظرت حولها تائهة، ورأت دينا وأسامة ومعهما شخص لا تعرفه.

كان أول من انتبه لإفاقتها ذلك الشخص المجهول لها، والذي ما أن رآها تفتح عينيها حتى أشار بيده نحوها منها أسامة ودينا.

- "حمدًا لله على سلامتك يا زينب، لقد أرعبتيني، كيف حالك يا حبيبتي الآن؟"

- "هل أنت بخير يا زينب؟ "

قالها أسامة بتردد وعيناه تحاول الهروب من مواجهة عيني زينب

- "نعم، أنا بخير "

قالتها زينب بوهن وهي تحاول النهوض ولكن خارت قواها ولم تتمكن من أن تقوم من مكانها.

- "من المؤكد أنها تشعر بالضعف، ويبدو عليها الشحوب، سأذهب لأحضر لها بعض من العصير "

قالها ذلك الشخص الغريب قبل أن يختفي بالخارج.

- "أين أنا؟"

- "لقد اضطررنا لنقلك لمكتب سراج صديقي بصالة الرياضة بعد فقدانك الوعي"

دخل سراج في هذه اللحظة بعلبة من العصير، فأخذتها دينا منه شاكرة، وفتحتها لزينب ثم أعطتها لها.

رفضت زينب العصير ولكن دينا أصرت أن تشرب منه ولو القليل، فبدأت دموعها تسيل وهي تأخذ رشفات صغيرة.

في هذه اللحظة سمعت زينب صوت هاتفها يرن، فقالت لها دينا، وهي تناولها حقيبتها :

- "لم يتوقف هاتفك عن الرنين منذ أن فقدتي الوعي يا زينب"

أخرجت زينب الهاتف لتجد أن المتصل هو والدها، ظلت تنظر للشاشة واسم والدها الموجود عليها دون أن تستطيع أن تضغط على زر الإجابة. توقف الرنين للحظات التقطت فيها نفسًا طويلًا، قبل أن يعاود الهاتف الرنين مرة أخرى، وتحمل الشاشة اسم والدها من جديد.

تبادل أسامة ودينا النظرات وقال أسامة بتردد :

- "سنخرج لنتركك تردين على هاتفك يا زينب "

وهم بالخروج مع دينا وسراج قبل أن تقول زينب بصوت يملأه البكاء:

- "لا يمكنني الرد عليه! ماذا سأقول له؟ كيف أعود إليه اليوم وأنا بهذه الحالة؟ كيف سيمكنني مواجهته وإخباره بما حدث؟ كيف أقول له أن ابنتك التي كنت تنتظر زفافها خلال أيام، عليك أن تنتظر موتها الآن؟"!

- "زينب أنت تحتاجين لأن تهدأ أعصابك بعض الشيء، وبعدها يمكنك أن تفكري وتقرري ماذا ستفعلين في كل شيء، ربما عليك تجنب مواجهة والدك اليوم، أخبريه أن عليك البقاء بالمستشفى هذه الليلة، واذهبي لتمضي الليلة لدى أي من أقاربك حتى تهدأي وتستطيعي التفكير جيدًا"

- "ولكن أنا ليس لدي أحد يمكنني الذهاب إليه، فكل من بقي من أقاربي يعيشون في محافظات أخرى بعيدة"

صمت الجميع لحظات قبل أن تقول دينا بعد تفكير:

- "تعالي عندي يا زينب"

* * *

كاد الأسطى محمد أن يجن وهو يحاول الاتصال بزينب عدة مرات دون جدوى، وتزايد شعوره بالقلق الذي بدأ منذ أن رأى محسن عائدًا بدون زينب، وتأكد حدسه بأن هناك شيئًا ما غير عادي بعد أن تأخرت زينب كل هذا الوقت، وعدم ردها على اتصاله المستمر بها.

حاول الاتصال بمحسن ولكن زاد هذا من قلقه وظنونه فقد وجد هاتفه مغلقًا.

وبعد عدة محاولات فاشلة من الاتصال المتبادل بتليفوني زينب ومحسن، قرر أن يذهب لبيت محسن ليسأله عن زينب أو على الأقل ليأخذه معه ليبحثا عنها في حالة ما كان لا يعرف عنها شيئًا.

ألقى نظرة على أولاده وأطمأن عليهم وأوصى سيد، ابنه الأكبر، أن يعتني بإخوته حتى يعود من الخارج.

اتجه نحو الباب وهم بفتحه حينما سمع رنين هاتفه، ليجد اسم زينب على شاشته.

تنفس الصعداء وهو يرد متلهفًا :

- "زينب! أين أنت يا بنتي؟ لقد كدت أفقد عقلي قلقًا عليك"

- "أنا آسفة يا والدي، لدينا حالة طارئة بالمستشفى ولم أتمكن من الرد على هاتفي، وقد اختطفت بعض من الدقائق لأكلمك وأطمأنك سريعًا، وسأضطر للعودة للعمل والمبيت اليوم بالمستشفى"

- "خير يا بنتي، المهم أنك بخير"

- "نعم يا أبي أنا بخير، لا تقلق علي "

قالتها بصوت يختنق بالعبرات، والتقط والدها هذا فسألها:

- "هل أنت متأكدة؟ صوتك لا يريحني يا زينب"

- "لا أبدًا يا أبي، أنا فقط مرهقة، فأنا أعمل منذ الصباح الباكر"

لم يطمئن لإجابتها، ولم تقنعه فسألها :

- "زينب، لقد رأيت محسن عائدًا إلى البيت مبكرًا على غير عادته، هل تعرفين السبب؟"

بدا الارتباك على صوتها وهي تقول :

- "لقد كان لديه تدريب.. خارج المصنع، وقد انتهى منه مبكرًا فأقنعته أن يعود بمفرده لأن مازال علي أن أبقى بالمستشفى.. أبي يجب أن أذهب الآن، إنهم ينادونني. اعتني بنفسك وبإخوتي "

لم تعطه فرصة للرد وأنهت المكالمة فورًا قبل أن تفضحها دموعها.

لكن والدها لم يكن محتاجًا لدموعها ليشعر بأن هناك خطبًا ما بها، ومع هذا لم يكن بيده شيء سوى أن ينتظر عودتها ليفهم منها كل شيء ويطمئن عليها.

* * *

بعد مناقشات طويلة وجدال أطول، وافقت زينب على الذهاب مع دينا إلى منزلها.

تركتا أسامة مع سراج في صالة الرياضة، بعد أن شكرته زينب على محاولته وأكدت له أنها تقدر كل ما فعله جدًّا حتى وإن لم يفلح في إقناع وائل، ففي النهاية هذا ليس ذنبه على الإطلاق، وإنما ذنب شخص أناني بلا ضمير.

وما إن اختفت الفتاتان خارج المكان، حتى باغت سراج أسامة بسؤاله بنبرة قلقة :

- "ما كل ما حدث هذا يا أسامة؟ أنا مازلت لا أفهم بالضبط الأمر ولكني بعد كل سنين الصداقة هذه التي بيننا، لم أرك مسبقا في مثل هذه الحالة من الغضب! لم أرك تفقد أعصابك وتضرب شخصًا مهما حدث"

- "لم أتحمل أنانيته ولا مبالاته يا سراج، أنه بكل بساطة يقضي على حياة فتاة مسكينة لا ذنب لها، أنه يدمرها حرفيًّا بينما يمكنه بكل بساطة

إنقاذها ولكن لأنه لا يفكر سوى في نفسه وحياته هو فقط ليس لديه أي مشكلة في أن يحطم حياة غيره"

- "مازلت تائهًا، ما علاقة وائل بهذه الفتاة؟ بل ما علاقتك أنت أصلًا بها؟ أفهمني الحكاية بالضبط"

حكى أسامة لسراج كل شيء، فظهرت علامات الامتعاض على وجهه وهو يقول :

- "الحقير"!

- "أرأيت يا سراج، هل عذرتني الآن لأنني فقدت أعصابي؟"

- "لو كنت أعلم هذا ما تركته ليذهب أبدًا قبل أن أجبره على إجراء التحليل"

- "تجبره؟ كيف يمكنك إجباره يا سراج؟ لقد كان عنيدًا مصممًا على رأيه، تخيل ذلك الحقير عرض أن يقدم مبلغًا من المال لزينب عوضًا عن إجراء التحليل! يظن أن يمكنه شراء حياتها"!

- "اسمع يا أسامة لقد تعاطفت مع الفتاة، وأرى أننا يجب أن نفعل شيئًا ولا نترك الأمر بهذا الشكل"

- "أنا معك، ولكن ماذا يمكننا أن نفعل؟"

- "يمكننا أن نفعل الكثير، ولكن الآن يجب أن نتمكن من الوصول إلى وائل بأقصى سرعة"

* * *

فتحت دينا باب شقتها، ودلفت إلى الداخل تتبعها زينب تقدم قدما وتؤخر الأخرى، لشعورها بالإحراج الشديد.

- "تفضلي يا زينب تفضلي، أهلًا بك"

دخلت زينب لتجد البيت معتمًا تمامًا، فقالت هامسة:

- "يبدو أن أهل البيت نائمون"

ابتسمت دينا ولم تعقب، وأضاءت نور الصالة كاشفة عن منزل أنيق مؤثث بعناية، يغلب على ألوانه البهجة، والتي تريح العين والنفس.

وقفت زينب في حيرة يغلبها الإحراج، فلم تعطها دينا فرصة، وأخذتها من يدها لطرقة واسعة ثم أشارت بيدها لباب وهي تقول:

- "هذا هو الحمام، ادخلي لتغسلي وجهك ويديك، وسأحضر لك منشفة نظيفة حالًا"

لم تعطها فرصة لتجيب، وتركتها ودخلت من باب في نهاية الطرقة، وعادت إليها بالمنشفة، وناولتها إليها قبل أن تقول:

- "سأتركك وأذهب لتجهيز الطعام، من المؤكد أنك تتضورين جوعًا مثلي"

همت زينب بالرد نافية جوعها، ولكن دينا كانت تتوقع هذا الرد فباغتتها قائلة:

- "لقد تأخرت كثيرًا عن موعد تناولي للطعام، ولا يمكنني الانتظار أكثر من هذا، فهيا يا زينب أسرعي"

شعرت زينب بتأنيب الضمير، لأنها السبب في تأخير دينا كل هذا الوقت خارج المنزل، وسبب انشغالها عن تناول الطعام، فوجدت أنه من غير اللائق أن تعاند في موضوع الطعام، كما إنها وبالرغم من كل شيء، فقد بدأ الجوع يتسلل إليها هي الأخرى، فهي لم تتناول شيئًا منذ الأمس، فهزت رأسها وتمتمت بعدة كلمات شاكرة لدينا.

تركتها دينا واختفت عن ناظريها، ودخلت هي الحمام، وأغلقته عليها.

نظرت لنفسها في المرآة، وشردت بذهنها، تفكر في أحداث اليوم كلها، لا يمكنها أن تصدق أن كل هذا قد مر عليها في يوم واحد، وأكثر ما يستنكره عقلها هو نهاية تلك الأحداث بهذا الشكل البائس، والذي قد يعني أن حياتها قد انتهت تمامًا.

استرسلت في أفكارها حتى أخرجها من شرودها طرقات على باب الحمام، وسمعت صوت دينا وهي تقول:

- "الطعام جاهز يا زينب، أنا في انتظارك"

- "حاضر، أنا قادمة"

* * *

جلست الاثنتان على مائدة الطعام، وكل منهما شارد، لا يأكل إلا أقل القليل، فدينا هي الأخرى كان يشغلها أمر زينب وكانت تشعر برغبة قوية في مساعدتها بأي شكل ولكنها كانت تشعر بالعجز وقلة الحيلة اللذين لم يمنعاها من الإصرار على إيجاد حل بأي شكل.

شعرت زينب بحركة خفيفة من خلفها، ورأت دينا تبتسم، فتنحنحت في إحراج استعدادًا لمقابلة أحد من أهل دينا، وقامت من مكانها واستدارت ببطء لتحيته، ولكن قابلتها عينان صغيرتان تنظران إليها في توجس، ثم تحركت صاحبتهما بخفة، متجاهلة إياها، وقفزت برشاقة لتجلس على قدمي دينا، والتي ربتت على ظهرها وبدأت تمسح على شعرها وهي تقول ضاحكة:

- "أعرفك بـ (فلافي)، من أهم أعضاء أسرتي الصغيرة"

ظلت زينب واقفة وهي تنظر بدهشة لتلك القطة الصغيرة، ذات الشعر الأبيض الكثيف، والتي استقرت بهدوء على قدمي دينا وكأن هذا هو مكانها الطبيعي والمعتاد، وأخذت تبادلها النظرات اللا مبالية!

استدركت دينا وكأنها تذكرت شيئًا :

- "عذرًا يا زينب، لقد نسيت أن أسألك، هل تخافين من القطط؟"

- "لا أخاف منهم، ولكني لا أحبهم"

- "لا أتخيل أبدًا ألا يحب أحد القطط! ولكن عامة لا تقلقي، فلن تزعجك أيا من قططي أبدًا، فهم جميعًا لديهم عزة نفس كبيرة، فإن لم

يجدوا ترحيبًا من أحد، لا يرغبون في فرض أنفسهم عليه ويتجنبونه عوضًا عن ذلك"

- "قططك؟ هل تعنين أنه هناك قططًا أخرى غير تلك؟"

قهقهت دينا وهي تقول :

- "نعم، لا تقلقي مجرد قط وقطة، غير هذه فقط"

قالت زينب بدهشة :

- "ثلاث قطط"!

- "للأسف كانوا أربعة، ولكن (سنوبي) مات بعد وفاة خالي حزنًا عليه، أنت لا تتخيلين كم هي حساسة تلك الكائنات الرقيقة، وهي من تؤنس وحشتي وتملأ عليَّ حياتي، ولا أعرف كيف كنت سأعيش دونها"

- "هل تقصدين أنه لا يوجد في هذا المنزل سواك أنت وهذه القطط الثلاث؟"

صمتت دينا قليلًا، ثم قالت ببعض الحزن :

- "نعم يا زينب، أنا ليس لي أحد سوى هذه القطط"

زفرت زينب زفرة ارتياح، وقالت بابتسامة واهنة :

- "ليتك أخبرتيني هذا من البداية، فأنا متوترة للغاية خوفًا من أن أقلق أي من أهل البيت"

ردت دينا ابتسامتها وقالت ببعض من الخجل:

- "لقد شعرت بالإحراج من إخبارك أنني أعيش بمفردي، وخاصة أمام دكتور أسامة وصديقه."

صمتت الاثنتان قبل أن تقول دينا ببعض المرح:

- "والآن هيا لنعد الشاي ونأكل بعض من الحلوى، ما رأيك؟"

هزت زينب رأسها موافقة، وسارت خلف دينا في اتجاهها لما توقعت أن يكون المطبخ.

* * *

على أنغام بعض من الموسيقى الكلاسيكية، جلست دينا وزينب تحتسيان الشاي في غرفة المعيشة، التي لم تختلف روحها المبهجة عن باقي الشقة، وانضم إليهما باقي أهل الدار، وجلسوا ملتصقين بدينا بشكل أعطى لزينب انطباعًا أن هذه الجلسة هي جلستهم المفضلة.

- "لا أراك تأكلين الحلوى يا زينب"!

ترددت زينب قليلًا ثم قالت:

- "إن اللون الأحمر هو لوني المفضل، ولكني الحقيقة لم أرَ مطلقًا من قبل كيكا باللون الأحمر"!

قالت دينا وهي تضحك:

- "أنا سعيدة أن هذا الكيك بلونك المفضل! فلتتذوقيه، سيعجبك بإذن الله"

نظرت زينب للحلوى بتوجس، ثم أخذت قطعة صغيرة بالشوكة وتذوقتها، وبدا على وجهها علامات الرضا والإعجاب، قبل أن تسرح قليلًا وتبدأ في المضغ ببطء وكأنها تذكرت شيئًا، وجلست شاردة تمسك بالطبق دون أن تمسه مرة أخرى.

لاحظت دينا شرودها، فسألتها إذا كانت لا تعجبها الحلوى.

ردت زينب بحزن:

- "لا إنها جميلة، ولكني أشعر بأنه ليس لي أي رغبة في تناول أي شيء! لقد تناولت الطعام بصعوبة، أشعر وكأن هذا هو آخر ما سأتناوله في الدنيا"

قامت دينا من مكانها واقتربت من زينب، جلست بجوارها على الأريكة، وربتت على كتفها وهي تقول:

- "لا داعي لهذا التشاؤم يا زينب، الأمر لم ينتهي بعد، صدقيني سنصل لحل بإذن الله، أنا مقتنعة بأن الله لن يتركك أبدًا، فلا ذنب لك في كل ما حدث"

- "نعم لا ذنب لي ولكن ما باليد حيلة، لقد حاولنا ولكن يبدو أن الله قد كتب لي أن تنتهي حياتي بهذا الشكل، وأن يودعني أبي إلى قبري بدلًا من أن يزفني لعريسي"

- "لا يعجبني استسلامك هذا يا زينب، لا أريد أن أكون واعظة، ولكن دعيني أحكي لك شيئًا ولك مطلق الحرية، الاقتناع به أم لا. لقد تعلمت من خالي أمرًا قيمًا، قلب حياتي وتفكيري رأسا على عقب، وربما قد يفيدك وخاصة في هذه الظروف. فقبل وفاة خالي بفترة، مرض فجأة وتم تشخيصه على أن لديه نوعًا من أنواع السرطانات النادرة، وأخبره الأطباء أن ما بقي له هو عدة أشهر على الأكثر. لن أنسى هذا اليوم مطلقًا، فقد عدنا من المستشفى وكنت في حالة يرثى لها من الانهيار، فلم أكن أتخيل أن أفقد خالي وهو من بقي لي في هذه الدنيا وليس لي سواه، وعلى عكس حالتي فقد فاجأني خالي بحالة شديدة من الهدوء والسكينة، ووجدته يدخل حجرته ثم نادى عليَّ بعد دقائق، وأخبرني أنه يشعر بخيبة أمل شديدة في! صدمني كلامه جدًّا ولم أفهمه، فأوضح لي أنني الآن أخالف كل ما رباني عليه، فقد رباني على حسن الظن بالله والتوكل عليه، وأن يكون كلام الله هو ما أبني عليه كل تصرفاتي فكيف لموقف صغير مثل هذا أن يجعلني أنسى كل هذا في لحظة وأتصرف عكس ما عمل على زرعه في؟! أكدت له أنني لم أخالف أي مما ذكره ولكن حالتي هذه فقط من قلقي عليه وخوفي من أن أفقده. لن أنسى ابتسامته في هذه اللحظة وهو يقول: "يا عزيزتي ماذا عن قول الله تعالي: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) نحن نردد هذه الآية مرارًا وتكرارًا، ولكن هل توقفنا ودققنا في معناها وأيقناه؟ لو كنا قد أدركنا فعلًا معناها وآمنا به إيمانًا حقيقيًا لا شك فيه، لم يكن ليصيبنا القلق قط، ولم نكن

لنجزع أو تهتز لنا شعرة مهما شعرنا بالتهديد، فلو كنا موقنين أنه مهما فعلنا، فإن قدر الله آت لا محالة، لن يغيره قلقنا وخوفنا، فإنه على العكس قد يغيره حسن ظننا بالله، فإن الله لن يخيب ظن عباده أبدًا، وأنا أحسن ظني بربي وموقن بأن ما يكتبه لي أيًّا كان فهو خير، ومادام بي نفس يدخل ويخرج، فلن أضيع حياتي في قلق لن يفيد، وترقب لشئ لا أعلمه، ولكني سأعمل على أن تكون كل ثانية تمر بي أفضل من سابقتها، هكذا أريد أن أعيش المتبقي من حياتي، فلو مت بعد دقائق أو سنوات لن يفيدني شيء سوى أن أكون قد حييت حياة طيبة سعيدة، بدلًا من إضاعتها في الولولة والحزن عليها"

شعرت وكأن كلماته هذه قد لطمتني لطمة قوية على وجهى، وفكرت بيني وبين نفسي، كيف يمكنني أن أكون في هذه الحالة بينما هو في هذا التماسك والرضا، وشعرت بأنه محق في كل كلمة قالها، وبماذا سيفيد صراخي وحزني عليه، وإشعاره بأنه يموت ببطء، أليس من الأفضل أن أستمتع بصحبته في جو سعيد لآخر لحظة من عمره؟

ولم يكتفِ خالي بهذا الحوار ليعلمني درس عمري، وإنما أكمله بتصرفاته وعمله، فقد عمل على أن يستغل كل لحظة في عمره في جعلها لحظة مميزة ولا تنسى، وعلى أن نستمتع بها سويًّا، لقد كان في حالة نفسية مرتفعة للغاية على عكس المتوقع، وأصر على أن يأخذني ونسافر سويًّا لأماكن عديدة ونخرج ونتنزه ونستكشف أشياءً كثيرة جديدة.

كما كان لما فعل خالي مفعول السحر على صحته، فقد لاحظ الاطباء تحسنًا ملحوظًا في حالته دون سبب طبي واضح، ويبدو أن حبه للحياة واستمتاعه بها قد جعلها تنحني له احترامًا، وتمنحه المزيد منها عرفانًا منها بحبه لها. وبدلًا من أن يعيش خالي عدة شهور كما توقع الأطباء، فقد عاش ثلاث سنوات بعد اكتشافنا لمرضه، ومات سعيدًا، مرتاح البال في فراشه دون أن يشعر بالتعب مطلقًا قبلها، تاركًا لي ذكريات كثيرة سعيدة ولحظات لا تنسى بدلًا من أن يترك لي حزنًا دفينًا يقطع نياط قلبي. وجعلني كلما أذكره الآن أتذكر لحظة من تلك اللحظات فابتسم وأسعد، بدلًا من أن تنزل دموعي وأحزن."

صمتت دينا قليلًا قبل أن تستطرد تقول:

- "لقد أطلت عليك يا زينب ولكني أتمنى أن تفكري في نصيحة خالي، وتسألي نفسك، ماذا ستجنين إذا استبد القلق بك وتركت نفسك تحت رحمته يفعل بك ما يشاء؟ ماذا لو أظلمت الدنيا في وجهك واستسلمت بهذا الشكل، فماذا سيحدث؟ لا شيء صدقيني لن تجني سوى الحسرة والألم"

ظهر التأثر على وجه زينب وقالت:

- "يبدو أن خالك كان شخصًا قويًّا، كلامه بالفعل منطقي للغاية، وكل ما فعله كان مثاليًّا جدًّا، وأنا مقتنعة به، ولكن كيف يمكنني تجاهل القلق الذي استبد بي. أعتقد أن هذا يتطلب نوعًا خاصًا من القوة لا أجدها في

نفسي الآن، أو ربما لم أعتدها من قبل! أنا كل من يعرفني يعرف أنني إنسانة قوية وقد تحملت المسؤولية منذ زمن طويل وأبي وأخوتي يعتمدون عليَّ في كل شيء، ولكني الآن مع هذه المشكلة أشعر بالضعف! لأول مرة في حياتي أشعر أنني هشة ولا أقوى على مواجهة هذا الأمر، صدقيني ربما ضعفي هذا بسبب كل قلقي على أسرتي، ماذا سيفعلون بدوني، كل هذا القلق يجعلني عاجزة عن التفكير في أي حل أو مخرج"

- "لقد كان خالي دائمًا ما يقول: (إن القلق مثله مثل شخص متطفل يطرق بابك، فإذا فتحت له وسمحت له بالدخول تملك من حياتك وصار متحكمًا فيها، يسرق منك لحظاتك الجميلة وينغص عليك أوقاتك بينما لو أوصدت بابك في وجهه فإنه لن يتمكن من إيجاد طريقه إليك، مهما حاول وستحمي نفسك وحياتك من تبعاته)

فلتغلقي الباب في وجهه يا زينب، ولا تسمحين له بالتسلل إلى تفكيرك. أنت الآن في حاجة لعقلك لتتمكني من التفكير في كل الاحتمالات ووضع خططًا بديلة لكل احتمال منهم. لا وقت الآن للقلق، الآن وقت التفكير والتخطيط فقط"

أطرقت زينب تفكر في كلام دينا وخالها، ثم رفعت رأسها وهي مازالت مستغرقة في أفكارها لتقع عينيها على لوحة على الحائط لم تدقق مسبقًا فيها، لتجد مكتوبًا عليها بخط عثماني جميل: "ولا تيأس فإن اليأس كفر.

لعل الله يغني من قليل، ولا تظنن بربك غير خير فإن الله أولى بالجميل، وإن العسر يتبعه يسر، وقول الله أصدق كل قيل"(علي بن أبي طالب)

تمتمت زينب لنفسها "ونعم بالله"

* * *

بعد محاولات فاشلة للاتصال بوائل، ومحاولة البحث عنه في بعض الأماكن التي يعلم سراج أنه يتردد عليها دون جدوى، قرر سراج وأسامة انتظاره أمام منزله حتى يعود.

جلس الاثنان في سيارة أسامة يستمعان لماجدة الرومي، وأخرجا وجبتي الطعام اللتين قاما بشرائهما في طريقهما، وبدأ كل منهما تناول وجبته.

- "ماذا سنفعل يا سراج لو لم يأت؟ هل هناك مكان آخر لم نبحث به بعد؟"

- "للأسف نحن لم نترك مكانًا أعرفه ولم نذهب إليه، ولكن أنا متأكد أنه سيعود لبيته هذا بالتأكيد، فبالرغم من وجود منزل عائلته الكبير، فهو كان دائمًا يخبرني مرارًا وتكرارًا أنه على خلاف مع أهله مستمر، وأنه لا يطيق الإقامة معهم تحت أي ظرف من الظروف، ومهما حدث فإنه لا يرتاح سوى في هذه الشقة"

- "ليس لدينا حل آخر، سننتظره هنا حتى يظهر، ولكن ما يقلقني حقًّا هو ماذا سنفعل عندما يظهر؟ أنت رأيت بنفسك ما حدث المرة السابقة، لم تعتقد أن الأمر سيختلف هذه المرة؟"

- "لا تقلق يا أسامة، لندعو الآن أن يعود، ووقتها أترك الأمر لي وأنا أعرف ماذا سأفعل"

- "يقلقني غموضك هذا يا سراج وثقتك الزائدة، ولكني سأثق بك"

- "أخبرني يا أسامة، من هي تلك الفتاة الجميلة التي كانت تصاحب الممرضة؟"

- "هذه طبيبة أسنان، زميلتي بالمستشفى"

- "وكيف لم تخبرني من قبل أن لديك زميلة رائعة الجمال مثلها؟"

- "الحقيقة أنني لم أرها من قبل يا سراج! اليوم كانت أول مرة ألحظ وجودها بالمستشفى"

- "تلحظ وجودها؟ مثل هذه الحسناء تلفت الأنظار أينما كانت من أول لحظة! وأنت يا عزيزي تعرف كل من بالمستشفى، فكيف فاتتك هذه؟"

- "أنا نفسي مندهش للغاية من هذا الأمر، لأن فعلًا لدي علاقات طيبة بالجميع، ربما هي طبيبة جديدة"!

- "أسامة، أنظر"..

نظر أسامة فوجد وائل يتجه للدخول من باب العمارة، فهم بأن يفتح باب سيارته لينزل، فأوقفه سراج بإشارة من يده، وقال له:

- "انتظرني هنا يا أسامة"..

- "ولكن يا سرا"..

قاطعه سراج بحدة:

- "اترك الأمر لي، كما أكدت لك سابقًا، أنا أعرف ماذا أفعل"

لم يعطه فرصة للرد، فقد نزل من السيارة واتجه نحو عمارة وائل ليختفي بداخلها.

* * *

فوجئت دينا بزينب تضحك فجأة بصوت عال دون سبب!

نظرت إليها مشفقة وهي تتساءل بينها وبين نفسها؛ أفقدت زينب عقلها تحت وطأة أحداث اليوم؟! ثم قالت بحزن:

- "هل أنت بخير يا زينب؟"

ابتسمت زينب وقالت:

- "لا تقلقي يا دكتورة، أنا فقط لا يمكنني أن أصدق كل أحداث اليوم بكل تفاصيله، بما فيه جلستي معك الآن"

نظرت لها دينا نظرة تدل على عدم فهمها ما تقصده،فأكملت زينب:

- "لو كان أي شخص أخبرني هذا الصباح أنه سيدور بيننا أي حوار من أي نوع لاتهمته بالجنون. فما بالك بأنني أجلس الآن بمنزلك، وقد تناولنا طعامنا سويًّا ونحتسي الشاي مع الحلوى. إن هذا فقط يعطيني بعض الأمل

في أن أظن أن كل ما مر بي طوال هذا اليوم مجرد حلم مزعج، سأفيق منه صباحًا لأجد وكأن شيئًا لم يحدث،فاستعد لزواجي بعد شهر وتعود حياتي لطبيعتها"!

- "ربما لم تكن علاقتنا قوية يا زينب ولكن"..

قاطعتها زينب :

- "تقصدين لم تكن بيننا أي علاقة حقيقية، والصراحة لم أظن أنه سيكون بيننا أي علاقة في أي يوم من الأيام، سامحيني يا دكتورة، لقد كنت أعتقد أنك تترفعين عن التعامل معنا"

تبدلت ملامح دينا، وظهرت عليها الدهشة الشديدة، وقالت وقد بدت وكأنها قد صدمت بفكرة زينب عنها :

- "لم تعتقدين هذا يا زينب؟ ومن تقصدين بـ(معكم)"

- "كلنا بالمستشفى يا دكتورة، فأنا دائمًا كنت أشعر أنك تتجنبين التعامل مع أي أحد، فلا تشاركين في أي مناسبة، وليس لك أي علاقة بأي من الأطباء أو الممرضات، ولا حتى أراك تجرين أي حوار من أي نوع مع أي شخص بالمستشفى خارج إطار العمل، لذا، فقد.. " ترددت زينب قليلًا قبل أن تكمل: "فقد تخيلت أنك تتكبرين علينا"

بدا الانزعاج على وجه دينا ولكنها لم تعقب وبدأت زينب تشعر بالإحراج والندم لتسرعها فيما قالته، فاستطردت تقول :

- "ولكن الحقيقة لقد فوجئت بتصرفك معي اليوم، لم أكن أتخيل أن يقف معي أي شخص أو أن يفعل معي ما فعلتيه أنت والدكتور أسامة، لا أعرف كيف يمكنني أن أعتذر لك عن سوء ظني بك، فما فعلتيه يدل على كرم أخلاقك، بل وتباسطك الشديد لسماحك لي بالمبيت لديك اليوم"..

قاطعتها دينا، وقد دمعت عيناها:

- "كفي عما تقولين يا زينب، فأنا لم أفعل شيئًا، وعلى العكس فقد سعدت بوجودك معي اليوم، وأتمنى أن أتمكن من مساعدتك بشكل فعلي في حل مشكلتك"

لمحت زينب الدموع في عيني دينا، فهرعت إليها وهي تؤنب نفسها كثيرًا، وقالت:

- "أنا آسفة جدًّا يا دكتورة، لا أعرف لماذا قلت هذا الكلام السخيف دون داع، أعتذر لك إذا كان كلامي قد ضايقك"

- "لا يا زينب لا تعتذري، أنا فقط حزينة أنني قد أعطيت لك هذا الانطباع، وقد تكونين معذورة فيما ظننت، ولكن صدقيني أنا أبعد ما أكون عن التعالي والتكبر على الناس"

- "لقد لمست هذا بالفعل من تعاملك معي اليوم، ولكن اسمحي لي أن أسألك لم إذا تتجنبين التعامل مع الناس؟"

صمتت دينا قليلًا ثم تنهدت وهي تقول:

"أنا لا أجيد التعامل مع الناس، أو بمعنى أدق، أخجل كثيرًا من التعامل مع من لا أعرفهم، وبما أنني لا أعرف أحدًا، فإنني دائمًا ما أجد نفسي في حالة إحراج شديد من التواصل مع الناس والاندماج وسطهم"

- "لم كل هذا؟ الأمر بسيط للغاية، أنا متأكدة أنك لو اعطيتي الفرصة للناس للتعامل معك، فسيلمسون جمالك الداخلي الذي يتناغم كثيرًا مع جمالك الخارجي"

ابتسمت دينا في خجل، ثم سرحت بعينيها وكأنها تسترجع شيئًا، ثم قالت بهدوء:

- "هذا الأمر قديم للغاية، لقد ترعرع معي منذ طفولتي، فأنا بعد وفاة والديّ في حادث سيارة وأنا طفلة صغيرة، أصبت بصدمة شديدة، جعلتني أنطوي على نفسي وأصبحت شديدة الانعزال، وقد حاول خالي، والذي تولى تربيتي بعدها، إخراجي من حالة العزلة هذه، فتحسنت قليلًا ولكن لأنني كنت خجولة بطبعي، لم يجعلني هذا منطلقة، ولم أعرف مطلقًا كيف يمكنني تكوين علاقات صداقة مع أقراني، وكنت دائمًا ما أرقب زميلاتي يلعبن ويتحادثن، وأتمنى مشاركتهن ولكني دائمًا ما كنت أشعر بالحرج من أن أبادر بمحادثتهن خوفًا من فرض نفسي عليهن، مثلي مثل قططي تمامًا، واللذين أحضرهم لي خالي، ليكونوا لي أصدقاء، بعدما لاحظ عدم وجود أصدقاء لي، وليؤنسوا وحدتي ووحدته، فلم يكن لي ولخالي سوى بعضنا

البعض والقطط، وقد تأقلمت مع هذا الوضع، حتى وفاة خالي، فشعرت بفراغ كبير بعده، ملأت القطط جزء صغير منه، ولكن بقي جزء يشعر بالوحدة، ولكن لأنني مازلت أجهل كيف يمكنني دخول حياة الآخرين والاندماج بها دون إقحام نفسي ودون أن أتسبب في إزعاج لهم، فقد تجنبت دون قصد مني، التعامل مع الناس بالمستشفى. أتعلمين يا زينب؟ أنا كنت دائمًا ما أرى الجميع يتحدثون ويضحكون وأتمنى أن أشاركهم حواراتهم، ولكني كنت لا أعرف كيف يمكنهم أن يتقبلوني دون سابق معرفة، فأنزوي أكثر على نفسي، أعلم أن هناك شيء ما يجب عليَّ أن أغيره في نفسي، وأنني يجب عليَّ أن أتعامل مع الناس بشكل مختلف، ولكن والله لم أقصد التعالي على أحد قط"!

أشفقت زينب على دينا وأخذت تفكر، كم يكون البشر قساة القلب أحيانًا، تسوقهم أفكار خاطئة، تمتزج في عقولهم فقط، لتنتج أحكامًا قاسية على غيرهم، فيظلموا شخصًا بلا ذنب سوى جرم أرتكبه في تخيلاتهم وحدهم، أو ينصفوا شخصًا لا يستحق، على أمور اكتسبها، دون وجه حق، وفقا لتصوراتهم الخيالية!

تذكرت محسن في هذه اللحظة، وأنها دائمًا ما كانت تعطيه حجمًا أكبر بكثير من حجمه في حياتها، فتقنع نفسها بأنه سندها في الحياة، بينما هو كان أبعد ما يكون عن هذا، ونظرتها له بهذا الشكل لم تكن فقط إلا

لرسمها له صورة من خيالها هي، أرادت أن تقنع نفسها بوجودها والحياة فيها!

أطرقت زينب في صمت، ولاحظت دينا وجومها، فقالت بحماس مصطنع:

- "هيا يا زينب، انتهى وقت الثرثرة والآن تعالي نفكر سويًّا، ماذا يمكننا أن نفعل لنصل لحل لمشكلتك؟ فلنضع خطة"!

"افعل شيئًا للقضاء على القلق، فإذا لم تفعل شيئًا
فإن محاولتك استخلاص الحقائق ليست إلا مضيعة
للوقت والجهد"

ديل كارنيجي

استيقظت زينب على صوت رنين هاتفها دون انقطاع، ولكن ما إن أمسكته لترد وهي نصف نائمة حتى صمت.

فركت عينيها، ونظرت في الهاتف لتجد أكثر من خمسة عشر مكالمة فائتة أغلبها من رقم لا تعرفه والباقي من والدها.

اعتدلت في مكانها ونظرت حولها، فوجدت نفسها مازالت بغرفة المعيشة بمنزل دينا، والتي كانت نائمة على الأريكة المقابلة لها، وتذكرت أنهما ظلتا تفكران وتتشاوران فيما يمكنها عمله لما بعد صلاة الفجر، حتى غلبهما النوم وهما جالستان.

عادت لهاتفها، وهمت بالاتصال بوالدها، فوجدت الهاتف يرن مرة أخرى بنفس الرقم، غير المسجل لديها، ففتحت الخط وردت بحذر:

- "ألو"..

- "أين أنت يا زينب، أنا أحاول الاتصال بك منذ أكثر من ساعة، وحاولت الوصول أيضًا للدكتورة دينا ولكني لم أتمكن من الحصول على رقم هاتفها"

صمتت زينب قليلًا تحاول استيعاب الكلام ومعرفة من يحدثها، وقالت مستفهمة:

- "من"..

قاطعها محدثها مكملًا في عجالة:

- "أنا دكتور أسامة يا زينب، لدي خبر جيد، لقد تمكنت أنا وسراج من الوصول لوائل، وبعد محاولات كثيرة معه، وعدنا بأن يفكر في الأمر و"...

- "يفكر؟! أعليَّ أن أنتظر حتى يتعطف عليَّ ويفكر في أمري ويقرر بعدها أن يرحمني مما أنا فيه أو لا؟"!

- "انتظري يا زينب، كان هذا بالأمس، ولكننا فوجئنا به منذ حوالي ساعة يتصل بنا ويخبرنا بأنه سيذهب في الساعة الواحدة والنصف ظهرًا لعمل التحليل بمستشفى الحميات، لقد عرضت عليه أن نذهب لنأخذه للمستشفى، ولكنه رفض وفضل أن يقابلنا هناك"

تهللت أسارير زينب، ورفعت الهاتف من على أذنها لتنظر في ساعته، قبل أن يرتفع صوتها وتقول في توتر :

- "يا إلهي، الساعة الآن الواحدة إلا ربع، سأنزل حالًا"

استيقظت دينا على صوت زينب، وسمعتها وهي تنهي المكالمة فسألتها عما حدث.

حكت زينب سريعًا لدينا كل شيء وأخبرتها أنها يجب أن تتجه فورًا لمستشفى الحميات، وأن دكتور أسامة سيقابلها هناك حتى يتأكدوا من إجراء وائل للتحليل.

قفزت دينا من مكانها، وأخبرتها أنها ستذهب معها فورًا.

- "ولكن يا دكتورة"..

- "ليس هناك لكن، سأتصل في الطريق لأخذ اليوم إجازة لي ولك، وأصلًا لقد تأخرنا بالفعل فلا عمل اليوم، وأنا لن أتركك يا زينب"

ابتسمت زينب ممتنة، وقامت الاثنتان سريعًا تستعدان للتوجه للمستشفى بأقصى سرعة.

* * *

كان أسامة يقود سيارته في طريقه للمستشفى، حينما رن هاتفه بعد حوالي ثلث ساعة من محادثته لزينب، ليجد أنها هي المتصلة.

رد وهو ينظر للطريق :

- "أنا في طريقي للمستشفى يا زينب، إلى أين وصلتي؟"

- "للأسف يبدو أنني سأتأخر، لقد نزلت أنا ودكتورة دينا ولكننا وجدنا إطار سيارتها مثقوبًا، وقامت دكتورة دينا بطلب سيارة أجرة ولكن يظهر لها على شاشة الهاتف أنه مازال هناك 15 دقيقة على الأقل قبل أن تصل السيارة، أعتقد بهذا الشكل أنك ستصل قبلنا بفترة، أنا آسفة يا دكتور ولكن هل يمكن أن تتأكد من وصول أ. وائل وبدئه الإجراءات حتى نصل"

- "أين أنتم بالضبط يا زينب؟"

- "نحن أمام منزل الدكتورة دينا بالرحاب"

ظهرت الدهشة على وجه أسامة وقال وهو يبتسم :

- "زينب أنا قريب جدًّا منكما، يمكنني أن أكون عندكما خلال خمس دقائق، فقط أرسلي لي(Location) كي أتمكن من الوصول بالضبط داخل المدينة"

تلعثمت زينب وقالت بخجل :

- "عذرًا يا دكتور لا أعرف ماذا تقصد، هل يمكن أن تحادث دكتورة دينا وتشرح لها ماقلت"

أعطت دينا الهاتف والتي نظرت إليها مندهشة، لا تفهم الأمر وظهر على ملامحها الخجل وهي ترد على أسامة.

وصلها صوته دافئًا وهو يقول بكل تهذيب :

- "صباح الخير يا دكتورة هل من الممكن أن ترسلي إليLocation بمكانكما حتى أستطيع الوصول سريعًا؟"

ترددت كثيرًا وطال صمتها قبل أن تقول :

- "لا داعي يا دكتور، لا نريد أن نتعبك، أنا بالفعل طلبت سيارة أجرة وهي على وصول بإذن الله"

- "ليس هناك أي تعب على الإطلاق، أنا بالفعل الآن أمام إحدى بوابات المدينة، وسأكون عندكم خلال دقائق، سأنتظر رسالتك بالموقع"

لم يعطها فرصة للمزيد من التردد والرفض، وأنهى المكالمة .

نظرت لزينب معاتبة، ولكنها شعرت بأن لا وقت لهذا الآن، أخذت الرقم من هاتف زينب وقامت بإرسال الموقع من هاتفها.

قامت بإلغاء طلب سيارة الأجرة، وفي خلال دقائق وجدا أسامة أمامهما بالفعل.

* * *

قفزت زينب من السيارة ولم تنتظر أن يتوقف أسامة تمامًا أمام المستشفى، واندفعت تطوي سلالمها، وتجري بين أروقتها وهي تسأل عن مكان المعامل والتي وصلت إليها وهي تلهث وتحاول التقاط أنفاسها ثم أخذت تبحث بعينيها عن وائل. أيكون قد دخل لعمل التحليل؟ تساءلت بينها وبين نفسها، عندما لم تره.

اتجهت للموظف الموجود وسألته إذا كان هناك شخص قد قام بعمل أي تحاليل الآن بإسم وائل الخربوطلي.

نظر لها الموظف مستنكرًا وأخبرها أنه لا يمكنه إعطائها أية بيانات عن أي شخص أو تحاليل لا تخصها.

وقفت زينب حائرة، لا تعرف ماذا تفعل. وفي هذه اللحظة، ظهرت دينا على باب المعمل لاهثة، وقالت بنفس مقطوع ومن بين شهقاتها:

- "لقد قطعت نفسي يا زينب وأنا أجري وراءك في طرقات المستشفى ولا أستطيع اللحاق بك، انطلقتي ولم تعطيني أي فرصة لأرافقك"

همت زينب بالرد عليها عندما دخل أسامة، والذي لحقهما بعد أن قام بصف سيارته.

نظرت إليه زينب نظرة خاطفة ثم قالت:

- "نحن وصلنا متأخرين 10 دقائق وخفت أن يكون قد وصل وقام بعمل التحليل وانصرف، فلن أعرف وقتها إذا كان قد جاء بالفعل أم لا، ويبدو أن ما خشيته قد حدث، فلا أثر له ولا يمكنني أن أعرف إذا كان قد جاء بالفعل أم لم يأت، والموظف يرفض أن يخبرني بأي معلومة عنه"

صمت الجميع قليلًا قبل أن يقول أسامة:

- "سأحاول الاتصال به مرة أخرى"

قالت زينب بيأس:

- "أنت تحاول الاتصال به طوال الطريق يا دكتور دون جدوى"!

- "سأظل أحاول حتى نصل إليه"

أمسك هاتفه، واتصل برقم وائل لتجيبه الرسالة المسجلة:

"الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقا"...

أنزل الهاتف عن أذنه وتحاشى النظر لزينب حتى لا تجزع، ولكنها لم تكن بحاجة لأن يواجهها لتعلم أنه لم يتمكن من محادثته.

نظرت في ساعتها، وتراقصت دمعة في عينها وهي تقول:

- "الساعة تقترب من الثانية، يبدو أنه قد غير رأيه ولن يأتي"

- "لا أعتقد هذا يا زينب، هو من اتصل بنا صباحًا من نفسه دون ضغط، فلم سيغير رأيه الآن؟"

- "عادي يا دكتور، ربما راودته الهواجس وعادت له مخاوفه التي جعلته يرفض من قبل، وإلا فبم تفسر عدم ظهوره وهاتفه المغلق الآن؟"

صمت أسامة لا يعرف كيف يجيبها، قبل أن تقطع دينا صمته وتقول بلهجة يبدو فيها عدم اقتناعها تمامًا بما تقول:

- "ربما وصل قبلنا وأجرى التحليل بالفعل، أو ربما تعطل لأي سبب مثلما تعطلنا نحن"

ابتسمت زينب ابتسامة باهتة يغلب عليها التهكم، وهزت رأسها توافقها كذبًا.

حاول أسامة الاتصال عدة مرات بهاتف وائل وهم يتحركون في الاتجاه لباب المستشفى، ولكن في كل مرة لم يكن يحصل سوى على تلك الرسالة المسجلة اللعينة.

كادوا يخرجون من باب المستشفى عندما سمع أسامة صوتًا من خلفه ينادي عليه بصوت عال.

استدار ونظر خلفه، لتكسو وجهه ابتسامة عريضة.

* * *

كان الأسطى محمد في طريق عودته لمنزله من عمله بهيئة النقل العام، عندما لمح محسن خارجًا من بيته، فهم متجهًا إليه، ولكن ما إن لمحه الآخر حتى أخفض رأسه، محاولًا تفادي مقابلته، فمر بجانبه متظاهرًا بأنه لا يراه، داعيًا الله أن يتركه يذهب في سلام دون أن يحاول محادثته .

ولكن محاولته هذه باءت بالفشل، فقد ناداه الأسطى محمد، وبالرغم من محاولته التظاهر بأنه لم يسمعه، فإنه في النهاية لم يجد مفرًا من الرد عليه، عندما كرر محمد النداء عدة مرات بإلحاح.

حاول التظاهر بالمرح، فهو مازال لا يعرف ماذا أخبرته زينب، بل لا يعرف أصلًا ماذا تعتقد زينب، وهو لا يريد أن يدخل الآن في أي مواجهات، لا معه ولا مع زينب، بل يريد أن يتجنب أي مشاكل حتى يفكر كيف سيمكنه استرجاع شبكته وكل ما قام بشرائه من أجل الزواج، ففي النهاية هو لا يريد أن يخسر أي شيء.

- "أهلًا يا عم محمد، كيف حالك؟"

- "الحمد لله، لماذا هاتفك مغلق منذ الأمس يا محسن؟"

باغته محمد بهذا السؤال، فرد متلعثمًا :

- "لقد انقطع شحنه"

نظر له محمد نظرة ثاقبة مليئة بالشك وعدم التصديق، هو يعلم جيدًا أنه يكذب، فإذا كان الهاتف يحتاج إلى شحن، لم لم يشحنه منذ الأمس وهو

كان بالمنزل؟! ولكن بدلًا من أن يواجهه بكذبه، فضل أن يتجاهله، فهو يشعر أن هناك خطب ما، وهناك شيء مريب يحدث ولا يطمئنه، والمواجهة لن تفيده بشيء، سيقابلها محسن بالمزيد من الكذب.

شعر الأسطى محمد بالحيرة، ولكنه لم يجد بدًّا من أن يسأل محسن عن سبب عودته مبكرًا لليوم الثاني على التوالي، فقال له مازحًا:

- "ما الحكاية يا محسن؟ لقد صرت تعود مبكرًا للغاية من المصنع، يبدو أنهم يدللونكم بالمصنع"

صمت محسن لحظات قبل أن يقول مترددًا :

- "أنا لم أذهب للمصنع اليوم، فقد كنت أشعر ببعض التعب"

لم يكن كاذبًا هذه المرة، فهو كان متعبًا من سهرته بالأمس مع أصدقائه، احتفالًا بتحرره من قيود الزواج. واستكمالا لاحتفالاته، فقد قرر ألا يذهب اليوم للمصنع ويغط في نوم عميق غير عابئ بأي خصومات من راتبه، فهو لأول مرة لا يشعر بالضغط وإلى حاجته لكل قرش كما كان يقول دائمًا لزينب.

نعم، زينب كانت ذلك الحبل الملتف على رقبته، والذي كان يضيق كل يوم حتى كاد أن يخنقه، الآن قد قطع ذلك الحبل ولن يجبره أي شيء على أن يفعل ما لا يريده، ولا حتى إحراجه من ذلك الرجل الواقف أمامه الآن ويظن أنه يستجوبه!

أخرجه من أفكاره هذه صوت الأسطى محمد وهو يقول:

- "ألف سلامة يا محسن، هل عادت زينب؟"

باغته السؤال الذي لا يعرف له إجابة، ولكنه تذكر أنه مازال هناك ساعات على عودة زينب، فقال ضاحكًا:

- "مازال الوقت مبكرًا على عودة زينب يا حاج"

صمت الأسطى محمد، فقد تأكد أن محسن لا يعرف شيئًا عن زينب منذ الأمس، فمن الواضح أنه لا يعلم أنها كانت تبيت بالمستشفى، وستعود في الصباح.

استدار الأسطى محمد، متجهًا لمنزله وهو يقول لمحسن:

- "معك حق يا محسن، سامحني يا بني فقد كبرت ولم أعد بكامل تركيزي.. أراك على خير"

تنفس محسن الصعداء لتخلصه أخيرًا من ذلك الحوار المضجر، وانطلق خارجًا من الحارة سريعًا قبل أن يغير الأسطى محمد رأيه ويفكر في إكماله!

* * *

وقفت زينب مع دينا تتساءلان بهمسات ونظرات عن ذلك الشخص الذي انتحى بأسامة جانبًا، ليتبادلا حديثًا طويلًا يتخلله قهقهات عالية ما بين الحين والآخر، ثم خفت حديثهما وطال، وما بين الحين والحين يتوجهان

بنظرهما إليهما، فتبادلت دينا وزينب النظرات والهمهمات التي تؤكد أنه يبدو أن الحوار يتضمن الحديث عنهما.

انتهى الحديث فجأة، أو هكذا بدا لدينا وزينب، ووجدا الشابين يتجهان نحوهما، وأسامة يتقدم رفيقه، ليعرفه بهما، فأخبرهما أنه يدعى خالد، صديق قديم منذ أيام الجامعة، لم يتقابلا منذ فترة طويلة، وهو حاليًا يعمل طبيبًا بمستشفى الحميات، وقد أخبره أسامة بالمشكلة التي جاءوا من شأنها، فعرض خالد المساعدة بأي شكل، على الأقل سيمكنه معرفة إذا كان وائل قد قام بعمل التحليل قبل وصولهم أم لا.

تهللت أسارير كل من زينب ودينا، ونظرت زينب نظرة امتنان لكل من أسامة وخالد.

اتجهوا جميعًا لمعمل التحاليل، وطلب منهم خالد الانتظار بالخارج حتى يتمكن هو من الاستفسار.

غاب دقائق ثم عاد وعلى وجهه علامات الخيبة، وأخبرهم أن وائل لم يأت ولم يقم بعمل التحليل.

أكفهر وجه زينب، ولكن هذا لم يدم كثيرًا، فقد فوجئت بدينا تبتسم وتشير بيدها إلى نقطة خلفها، قائلة:

- "الحمد لله"

التفت الجميع، ليجدوا وائل آتيا من بعيد مهرولًا، ويحمل في يده كيسًا أسود ملفوفًا، ويبدو عليه الارهاق.

أسرع إليه أسامة يصافحه، وقال وائل وهو يجفف عرقه:

- "أنا آسف على التأخير، كان يجب علي أن أقوم بأشياء هامة للغاية، وقد استغرقت وقتًا أطول بكثير مما كنت أعتقد"

قال أسامة بنبرة يكسوها العتاب:

- "لا بأس الحمد لله أنك أتيت الآن، ولكني حاولت الاتصال بك كثيرًا دون جدوى"

أخرج وائل هاتفه، وألقى نظرة عليه، ثم نظر لأسامة وهو يلوح بهاتفه ويقول:

- "يبدو أن الشحن قد انتهى، أعتذر لك عن هذا"

هز أسامة رأسه متفهمًا، ثم بدأ يتحرك معه وهو يمسك بمرفقه، ليحثه على الإسراع بعمل التحليل، ومرا بدينا وزينب فحياهما وائل بإيماءة من رأسه ثم أختفى من أمامهما داخل المعمل مع أسامة وتبعهما خالد.

* * *

ظلت زينب ساهمة في السيارة لا يمكنها متابعة الحوار الدائر بين دينا وأسامة في طريقهم للعودة إلى بيت دينا.

فبعد إلحاح شديد من أسامة على أن يوصلهما، وإصرار دينا على أن تعود معها للمنزل، ظنت زينب أنه من غير اللائق أن تترك دينا بمفردها، على الأقل تبقى معها حتى تتمكن من إصلاح إطار سيارتها وتطمئن عليها ثم يمكنها أن تمشي، فلا يمكن أن تتخلى عنها بعد كل ما فعلته من أجلها.

ومما ساعد على إقناعها بهذا أيضًا، أنها لم تكن متعجلة العودة لمنزلها، فهي لم تكن مستعدة لمقابلة والدها بعد، تشعر أنه سيعرف كل شيء بمجرد النظر إلى وجهها، ستفضحها عيناها، أو ربما هي لن تتمكن من الصمود والمقاومة بمجرد أن تراه، وستنهار باكية أمامه لتخبره بكل شيء، لذا فقد ظنت أنه كلما طال الوقت قبل المواجهة قد تجد لنفسها مخرجًا، أو ربما قد تحاول صب القوة في نفسها صبًّا، لتتماسك وتواجهه دون خسائر.

لكن لم يكن هذا كل ما يشغل بالها الآن، ولا قلقها حول نتيجة الاختبار، وإنما كانت رأسها تمتلئ بالتساؤلات المشوبة بالفضول الشديد حول ذلك الكيس الأسود الملفوف بعناية شديدة، والذي أعطاه لها وائل مع مظروف صغير، طلب منها ألا تفتح أي منهما إلا في مكان آمن! ترى ماذا يقصد بمكان "آمن"؟ ولم كل هذا الغموض؟ الفضول يقتلها، أيكون بالكيس قنبلة مثلا؟! نفضت الفكرة من رأسها وهي تبتسم لسذاجتها! لم لا تفتح على الأقل المظروف؟ ففي النهاية هي ليست مضطرة لأن تلتزم بما فرضه عليها !

مدت يدها وهمت بفتح المظروف عندما انتبهت من شرودها على صوت أسامة يسألها:

- "وأنت يا زينب ما رأيك؟"

أعادت المظروف سريعًا لحقيبتها بجوار الكيس، وردت بحرج، وهي تنفض رأسها كمن عاد من غيبوبة :

- "رأيي في ماذا يا دكتور؟"

- "أنا ودكتورة دينا مختلفان حول ماجدة الرومي وفيروز، فأنا أرى أن ماجدة الرومي أغانيها أكثر مرحًا، ويمكن الاستماع إليها في معظم الأوقات فتدخل السعادة على القلوب، فأنا أرى أن صوتها صوت يخاطب القلب والعقل، فيستمتع المستمع بالحب حينما تغنيه، ويؤمن بكل ما تشدو به حينما تمس القلب بصوتها الشجي"..

قاطعته دينا بحماس:

- "أنا لا أعترض على كل هذا ولماجدة الرومي مكانة في قلبي، ولكن أرى أن لفيروز سحر خاص، فمستحيل أن تسمعها ولا تستوقفك، فصوتها وأغانيها لابد لهما أن يحركا شيئًا ما بداخلك، شيئًا قد لا تدرك كنهه ولكنك ستشعر أنك في حالة سامية متفردة لا تتكرر"..

لم تفهم زينب كيف وصل بهما الحوار إلى مناقشة مطربتهما المفضلة! وتعجبت زينب من انطلاق دينا في الحوار والكلام مع أسامة بحماس وهي الخجولة المنطوية. ترى كم من الوقت غاصت في أفكارها لتدرك هذا التطور في الحوار بينهما؟ !

ابتسمت ابتسامة مبتورة ولم تجب على سؤال أسامة، ويبدو أنهما لم يكونا في انتظار إجابتها، فقد استمرت مناقشتهما، وعادت هي مرة أخرى لأفكارها، والتي نتج عنها هذه المرة اتخاذ زينب قرارا بأن تؤجل فتح المظروف حتى تصل إلى منزلها، فالمنزل يبدو "آمنا" أكثر!

بعد برهة من الوقت، بدأ أسامة ودينا يدركان غياب زينب تمامًا عن المناقشات بينهما، فشعرت دينا ببعض من تأنيب الضمير، وأراد أسامة أن يخرجها من حالة الصمت والوجوم التي كانت فيها فقال بمرح:

- "هل تعرفين يا زينب، أحيانًا حينما أشعر بالضيق، أقوم بعمل شيء قد يبدو غريبا ولكنه يأتي بمفعول السحر على حالتي النفسية، فأنا أقوم بفتح الراديو بشكل عشوائي، وأول ما يصل لأذني منه، أعتبرها رسالة لي، قد تبثني التفاؤل من خلال أغنية مرحة، أو ترسل لي رسالة تحذيرية من خبر في نشرة الأخبار، أي شيء من هذا القبيل. أنا أعلم جيدًا أن كل هذا ليس له أي أساس، لكن هذا الأمر، عادة ما يحدث معي فرقًا كبيرًا، ما رأيكم أن نجرب الآن؟"

ابتسمت زينب نصف ابتسامة، وتحمست دينا وحثته على فتح الراديو

فتح الراديو لتباغتهم جميعًا هذه الجملة من أغنية :

(أنا شايف آه بعنيا كل الأحزان هاتعدي)

نظرت دينا لزينب بمرح فوجدت أن ابتسامتها قد اتسعت وتهللت أساريرها، ففيما يبدو أن فكرة أسامة قد أصابت وجاءت في وقتها لتبعث في نفسها بعض من التفاؤل والأمل الذي فقدته منذ بداية هذه الأزمة.

* * *

أوقف أسامة سيارته بجوار سيارة دينا، وكرر سؤاله عليها إذا كانت تحتاج المساعدة في تغيير إطار سيارتها، وظلت هي تنفي احتياجها للمساعدة وهي تشكره بخجل، ولكن يبدو أن هذا لم يقعنه تمامًا فقد أعاد عرضه للمساعدة بكل ترحاب وهو يقول:

- "أنا أعلم أن لا يوجد بوابون للعمارات بالرحاب، وحراس الأمن كالبكوات هنا، لا يقومون بأي أعمال لمساعدة السكان، فهل لديك من يمكنه مساعدتك؟"

كادت دينا أن تؤكد له كذبا وجود من يمكنه مساعدتها عندما التقطت زينب الحوار لترد هي قائلة :

- "لا يا دكتور للأسف ليس لديها أحد يمكنه المساعدة في تغيير الإطار"

نظرت لها دينا شذرا، وردت عليها زينب بنظرة مستعطفة تحاول تهدئتها وهمست لها مؤكدة أنها في حاجة لمساعدته.

لاحظ أسامة التوتر القائم بينهما فقطعه مستطردًا :

- "أنا ليس لدي أي مشكلة في تغيير الإطار، لن يستغرق الأمر سوي دقائق"

قالها ثم مد يده لدينا لتعطيه مفتاح السيارة، ففتحها وأخرج الإطار الإضافي وبدأ في استبدال الإطار التالف.

كانت دينا ما تزال تنظر لزينب نظرة عتاب، وهما يتبادلان الهمهمات، عندما أعلن أسامة انتهاءه من تغيير الإطار، فقالت دينا شاكرة:

- "لا أعرف كيف يمكنني أن أشكرك يا دكتور، لم أكن أريد أن أتعبك"

- "الأمر بسيط صدقيني" قالها ثم أتبعها مازحًا:"ولا تقلقي، يتبقى لي عندك خدمة"

ابتسمت دينا ابتسامة خجولة وهي تقول:

- "بالطبع"

- "يجب عليك إصلاح الإطار المثقوب سريعًا، هل تريدين أن أقوم بأخذه لاصلاحه؟"

- "لا لا شكرًا لك جزيلًا، الأمر بسيط سأذهب بإذن الله لأصلاحه"

- "حسنًا، هل تريدين أي خدمة أخرى مني؟"

- "لقد قمت بأكثر من الواجب، لا أعرف كيف يمكنني أن أشكرك على تعبك معي"

تنحنحت زينب، فنظر لها أسامة مستدركًا وقال:

- "لا تقلقي يا زينب، معمل المستشفى كان يفترض أن يعطينا نتيجة التحليل بعد أسبوع"..

قاطعته زينب بجزع:

- "أسبوع؟! كيف يا دكتور؟"

- "يا زينب أهدأي، أنت لم تعطيني فرصة لأكمل كلامي، هذا هو المفترض في العادي ولكني بعد أن شرحت لهم الموقف، وطبعًا بمساعدة دكتور خالد صديقي، تمكنا الحمد لله من إقناعهم بإظهار النتيجة سريعًا، وسيستغرق الأمر حوالي 24 ساعة بإذن الله، وأنا سأتابع مع خالد حتى أتأكد أن الأمر سيسير كما أتفقنا ونحصل بإذن الله على النتيجة غدًا"

تنفست زينب الصعداء وشكرت أسامة كثيرًا قبل أن يحييها هي ودينا ويركب سيارته وينصرف.

دعت دينا زينب للصعود معها لبيتها، ولكن زينب أخبرتها بتردد أن عليها العودة لوالدها، فهو يحاول الاتصال بها منذ الصباح وهي تتهرب من الرد عليه .

لمحت دينا التوتر والقلق البادين في ملامح زينب عند ذكر والدها، فسألتها، لتبث لها زينب قلقها من مواجهة أبيها، وأخبرتها أنها لا تدري كيف سيمكنها الإقامة معه تحت سقف واحد حتى ظهور نتيجة التحليل دون أن يكتشف ما بها، فوالدها يفهمها من نظرة عينيها، بل إنها تشعر أحيانًا بأنه لديه القدرة على النفاذ لقلبها وعقلها ومعرفة ما بهما في أي وقت بمجرد النظر إليها، فكيف ستتمكن من إخفاء الأمر عليه، هي حتى لا تثق في نفسها ولا في قدرتها على الكتمان أمام والدها.

عرضت دينا ألا تعود زينب لبيتها وأن تبقى معها هذه الليلة أيضًا، ولكن زينب بعد تفكير، وجدت أن غيابها عن والدها كل هذا الوقت سيثير شكوكه أكثر، فهي لم تعتد البقاء بعيدًا عن المنزل كل هذه الفترة بسبب العمل.

صمتت دينا قليلًا، ثم بعد برهة من التفكير، اقترحت عليها أن توصلها لبيتها وتدع الأمر عليها، فستحاول هي اقناع والدها بأن تبقى معها هذه الليلة، كما أن وجودها معها سيقلل لحظات المواجهة بين زينب ووالدها.

نظرت زينب لدينا بكل امتنان، وقد راقت لها الفكرة، فلم تشعر بنفسها إلا وهي تعانقها وتقول :

"-كم أنا ممتنة لك"

* * *

ذرع الأسطى محمد صالة منزلهم جيئة وذهابًا، وما بين اللحظة واللحظة، يلقي نظرة من النافذة علَّه يرى زينب عائدة، لتطفئ نار قلقه عليها وخاصة بعد أن صارت تقابله تلك الرسالة اللعينة والتي تفيد بأن هاتفها مغلق، كلما حاول الاتصال بها.

ليته كان يعرف رقم هاتف سماح، أو أي من زميلاتها بالمستشفى، لم لا يتصل بالمستشفى ليسأل عليها؟ كيف لم يفكر في هذا سابقًا؟ !

ركض نحو الهاتف الأرضي، وأخرج نمرة المستشفى من جواله، وهم بطلب الرقم عندما سمع طرقا على باب الشقة.

هرع نحو الباب، وفتح ليجد زينب أمامه، فاستقبلها بوابل من التساؤلات دون أن يعطها أي فرصة للإجابة:

- "أين كنت يا زينب؟ لقد كدت أموت قلقًا عليك. لماذا لا تجيبين على هاتفك؟ لماذا لم تفتحي الباب بمفتاحك؟ هل أنت بخير؟"

ردت زينب وهي تتجنب النظر في وجهه :

- "أنا بخير والحمد لله. معي ضيفة"

نظر الأب فلاحظ وجود فتاة تقف في خجل خلف زينب، لم يلحظها سابقًا من شدة قلقه.

فقال بترحاب يشوبه الإحراج، وهو يفسح الطريق لزينب وضيفتها:

- "أهلًا وسهلًا، تفضلي يا بنتي"

دخلت زينب ووراءها دينا، والتي حيت الأسطى محمد بابتسامة خجولة.

- "الدكتورة دينا يا أبي، طبيبة أسنان أعمل معها بالمستشفى"

- "مرحبا بك يا دكتورة، نورتي منزلنا"

- "أهلًا بك ياعمي، أريد أن أعتذر لك عن تأخير زينب كل هذا الوقت، ولكن حينما تعرف الحقيقة، أعتقد أنك ستعذرها وتتعاطف معها، سأخبرك بكل شيء بالتفصيل ولكن عدني أن تحاول تفهم الأمر"

- "بالطبع يا بنتي، أرجوك أفهميني ما الأمر؟"

- "هل تعرف شيئًا عن مرض الإيدز؟"

نظرت زينب إليها ذاهلة، لا يمكنها أن تصدق ما قالته، وهز الأسطى محمد رأسه ببطء إيجابًا فيما كان ينقل نظره بينهما هما الاثنتان وهو لا يستطيع أن يفهم أو يتخيل إلى أي شيء ترمي دينا بهذا السؤال، أو ربما لا يريد التخيل.

* * *

جلس الأسطى محمد على أقرب كرسي إليه ونظر لدينا متأثرًا، لا يمكنه استيعاب ما أخبرته به.

- "أعلم أنك تشعر بالتأثر، ولكن بالرغم من كل ما قصصته عليك، فعليك أن تشعر بالفخر بزينب"

نظر إليها مستفهمًا، بينما كانت زينب لا زالت في حالة ذهول، لا تصدق ما فعلته دينا، فقد حكت دينا كل شيء، حكت عن الوخزة المشئومة، عن سعيهم وراء وائل ورفضه عمل التحليل في بداية الأمر ثم تراجعه بعد فقدهم الأمل، حكت عن قلقهم وذعرهم من انتقال المرض المخيف، علم والدها كل شيء بالتفاصيل، ولكن باختلاف معلومة صغيرة أبدلتها دينا، فقد أخبرته أن من أصابته وخزة الحقنة الملوثة هي دينا نفسها وليست زينب!

أكملت دينا :

- "نعم عليك الفخر بزينب، فلولاها لا أعرف كيف كنت سأخوض كل هذا بمفردي، فأنا وحيدة يا عمي ليس لي أهل أو أصدقاء، وزينب تطوعت لتكون معي في كل شيء، ولم تقبل بتركي في أي خطوة خطوتها"

نظر الأب لابنته نظرة تقدير، ثم قال معاتبًا لها:

- "لِم لم تخبريني بكل شيء منذ الأمس يا زينب؟ كنت سأحضر بنفسي لأكون معكما وحتى لا تمرا بكل هذا وحدكما"

ثم التفت لدينا وقال:

- "بإذن الله يمر الأمر على خير ونطمئن عليك يا بنتي، هذه أول مرة أقابلك، ولكني شعرت أنك مثل زينب تمامًا، أخبريني ماذا يمكنني أن أفعل لأساعدك؟"

- "أشكرك كثيرًا يا عمي على شعورك الطيب، كم أقدر هذا. كل ما أريده أن تسمح لزينب بالبقاء معي حتى نطمئن على نتيجة التحليل، فأنا متوترة للغاية، ولا أظن أنني أقوى على الانتظار بمفردي"

- "بالطبع يا بنتي، لا يمكن أن تبقي بمفردك، فلتبقى معك زينب حتى نطمئن عليك تمامًا"

شكرته دينا بامتنان حقيقي، فقد أراحها موافقته بسهولة وسرعة، وجنبها ما كانت تخشاه من أن يجادلها أو يحاول مناقشتها كثيرًا.

وشاركتها زينب راحتها، بالرغم من أنها كانت لا تزال في حالة من عدم التصديق لكل ما حدث.

حثتها دينا على الإسراع بإشارات خفية من يدها لينصرفوا قبل أن تخطئ إحداهما بأي شكل، وتنكشف الحقيقة.

هزت زينب رأسها موافقة، ودخلت حجرتها لإبدال ملابسها قبل الخروج مع دينا.

* * *

وقفت زينب آمام تلك المرآة الصغيرة الملصقة بضلفة دولاب ملابسها من الداخل، كانت تلف غطاء رأسها الأحمر حول وجهها حينما توقفت وشعرت بنفور شديد، وأحست أنها لا تقوى على رؤية هذا اللون حول وجهها.

تعجبت من نفسها، كيف يمكن للونها المفضل والذي كان يبعث في نفسها البهجة والسعادة أن يشعرها بكل هذه الكآبة وقبضة النفس؟! بل هي تعلم، إن هذا اللون الآن أصبح يذكرها برائحة الدم، ببدلة الإعدام، أحكم عليها بالموت حقًّا؟

أقشعر بدنها لمرور هذه الفكرة برأسها، وحاولت نفضها سريعًا، فأخرجت طرحة بيضاء من أحد الأدراج وقامت بلفها سريعًا، ثم التقطت بعض الأغراض، وفتحت حقيبتها لتضعها فيها عندما طالعها المظروف بجوار ذلك الكيس الأسود، واللذان كانت قد نسيتهما تمامًا.

عاودها الفضول ولم تجد بُدًّا من مطاوعته، ففتحت المظروف لتجد ورقة بداخله، خُط عليها كلامًا بخط لم تستطع أن تغفل اهتزازه بعض الشيء، اهتزازًا يوحي بتردد أو قلق.

مسحت الكلمات بعينيها سريعًا، ومع كل كلمة كانت تنمو على وجهها نظرة ساخرة متهكمة، حتى اقتربت من نهاية الورقة، وقرأت آخر كلماتها، ففغرت فاها غير مصدقة، ثم فتحت عينيها على آخرهما وفركتهما، وأعادت القراءة مرة واثنان وثلاثة، وعندما تأكدت مما قرأت شهقت شهقة قوية لم تخطئ أذني دينا، والتقطها الأسطى محمد أيضًا، والذي قام من فوره لغرفتها، وطرق الباب بكل قلق وهو يسألها إن كانت بخير.

أجابته زينب بأنها بخير، وبررت شهقتها بأنها تعثرت في سجادة الغرفة وكادت أن تسقط ولكن الله سلم، وفتحت باب الغرفة قليلًا لتطل برأسها فقط منه، وتطلب من والدها أن يرسل دينا إليها، لأنها كانت ترغب في رؤية غرفتها.

ابتسم الأب وذهب ليدعو دينا لغرفة بنته والتي كانت على بعد خطوات من الصالة، ووقفت زينب ترقبه من على باب الغرفة، وأشارت لدينا بيدها لتسرع.

وما إن دلفت دينا إلى الغرفة، حتى أغلقتها زينب عليهما وجلست على فراشها وهي في حالة ذهول، ومدت يدها بالمظروف لدينا دون كلمة واحدة!

* * *

أنصت سراج لأسامة وهو يقص عليه أحداث اليوم، كان يحكي بحماس غريب، ومرح خفي، التقط سراج بعض من إشاراته والتي أفلتت دون أن يقصد أسامة إظهارها.

- "لم يكن لدي شك في أنه سيظهر ويقوم بعمل التحليل" قالها سراج بثقة

- "ليتنا كان لدينا هذه الثقة، لقد مرت علينا دقائق مضت كالدهر، شعرت فيها بالإحراج الشديد بعدما منحت الفتاة المسكينة أملًا، وخفت أن ينقلب في النهاية إلى أمل زائف"

- "لقد أكدت لك منذ البارحة أنه سيأتي"

- "نعم يا سراج، ولكن عندما تأخر ظننت أنه سيهرب، أنسيت تملصه بالأمس منا عندما أخبرته بالأمر، لقد تعجبت أصلًا من انصياعه لك وموافقته على إجراء التحليل بعد رفضه، ألن تخبرني كيف استطعت إقناعه؟"

ابتسم سراج ابتسامة عريضة وقال :

- "هذا سر بيني وبينه"

- "دعك من المزاح يا سراج وأخبرني"

- "أنا لا أمزح، إنه سر بالفعل ولا يمكنني البوح به. اسمع يا أسامة، أنت لا تعرف وائل جيدًا، ولكني أعرفه منذ سنوات طويلة، هذا الشاب من عائلة

كبيرة ومحترمة، لديه ثروة هائلة، لا يمكنك تخيل حجمها، ولولا أنه نشأ وسط أسرة مفككة غير مترابطة، لاختلف حاله كثيرًا ولكان الآن من أنجح رجال الأعمال بالبلد. ولكن للأسف فإن عائلته أضاعته، فقد أنشغل كل من والديه بنفسه لا يفكر أيًّا منهماسوى برغباته فقط، فالأب مشغول بعلاقاته النسائية المتعددة، والأم لا تهتم سوى بالمبالغة في الاهتمام بنفسها وسفراتها مع صديقاتها، والابن تائه بينهما، لا يجد من يتابعه أويسأل عنه، وبالرغم من أنه قد عافر كثيرًا ليكون شخصًا ناجحًا، فقد التف حوله مجموعة من أصدقاء السوء في النهاية، وتمكنوا من جره لأسوأ الطرق، فوقع في براثن الإدمان وارتكب من الحماقات ما كاد أن يودي بحياته أكثر من مرة، ولكن لأن بداخله كان هناك بذرة نبتة طيبة مهملة، فبعد مرور فترة من الوقت شعر بأنه لا يرغب لنفسه المضي في هذا الطريق، وأنه يود أن يستعيد حياته ويحاول أن يصلحها بعيدًا عن أهله وعن أصدقاء السوء، وقد كان صادقًا في رغبته تلك عندما أتى إليَّ بالأمس يطلب العون في أن أساعده ليسترد صحته عن طريق ممارسة الرياضة، ولأنه كان يخاف من الانتكاس فقد ائتمنَّي على سر، وطلب مني في حالة ما رأيته يحيد عن الطريق القويم، أن أذكره بهذا السر، ليعود إلى صوابه، ولم أكن أعلم أنني سأحتاج لهذا في نفس اليوم. والحقيقة، أنني لم أحتج للضغط عليه بهذا الأمر كثيرًا، فالصراحة، حينما ذهبت بالأمس لمحادثه لمست ندمه، ورغبته في المساعدة، ولكنه كان خائفًا، متحيرًا، فلم يكن اقناعه بصعبًا"

قابل أسامة كل ما رواه سراج بالصمت، يحاول أن يستوعب كل ما قاله، وأن يتفهم ما مر به وائل، فشعر ببعض التعاطف معه، ثم قطع صمته قائلًا:

- "سبحان الله، مازلت لا أصدق كيف لعبت الصدفة دورًا في كل هذا، ففي نفس اليوم الذي يأتي إليك فيه، ويأتمنك على سره، نكون في رحلة بحث عنه، ويكون ما أودعه لديك هو الوسيلة التي تسهل لنا دفعه للانصياع لما أردناه"!

- "أنا لا أؤمن بالمصادفة فكل شيء مقدر ومكتوب. كيف يمكن أن تتخيل أن الله الذي يدبر الأمر، ويحكم كل شيء يمكن أن يترك أي شيء للمصادفة؟! بل كل شيء مدبر بإحكام وعناية لحكمة لا يعلمها سوى الله، كل ما يمر بك وتعزيه للصدفة كتبه الله ليكتمل به أمرًا ما في حياتك أو حياة غيرك بدقة شديدة"

هزَّ أسامة رأسه موافقًا وقال:

- "ونعم بالله، معك حق"

أراد سراج تغيير دفة الحديث فقال بابتسامة خبيثة:

- "ولكن ما سر ذلك المرح الخفي الذي كان يغلف كلامك وأنت تتحدث؟"

- "مرح؟! عن أي شيء تتحدث"

- "لا أعلم كنت تحكي بخفة عن الأحداث بشكل لا يتناسب مع طبيعتها المقلقة، حتى عندما كنت تتحدث عن اضطرارك لإبدال إطار سيارة الطبيبة، وهو الأمر الذي طالما كرهت القيام به، وعادة ما كنت تأتي بأحد ليقوم به بدلًا عنك، كنت تتحدث عن الأمر وكأنه أحب الأعمال إليك" قالها سراج ثم قهقه ضاحكًا.

- "يبدو أنك تتخيل يا صديقي، والآن دعك من كل هذا وهيَّا بنا لنذهب إلى أي مكان لتناول الطعام، فأنا أتضور جوعًا"

* * *

"لم أكتب رسالتي هذه لإعطاء أي مبررات، أو لاكتساب التعاطف، وإنما فقط لتوضيح الأمور والاعتذار.

أعلم أنه من المؤكد أنك ترين في شخصًا مستهترًا، أنانيًا، ولا يفكر سوى في نفسه، وأنا أعذرك تمامًا في نظرتك هذه؛ فقد تكونين محقة بالفعل؛ فلقد كنت شخصًا متستهترا، لا يرى لحياته قيمة فلم يعبأ بالحفاظ عليها.

سامحيني إذا كنت قد رفضت إجراء التحليل في البداية، لقد شعرت بالرعب والخوف، شُلَّ تفكيري ولم أدرِ كيف يمكنني أن أتصرف، لقد كنت على أعتاب التوبة، أريد أن أسترد حياتي وأحاول لم شتات نفسي وبناء حياة جديدة أسعى للحفاظ عليها من جديد، فصعقني الأمر وشعرت بالرغبة في الهروب، ليس منك، ولا من التحليل ولا نتيجته، وإنما الهروب من الحياة كلها.

لطالما شعرت بأن الحياة تلفظني دائمًا، لا أحد يرغب بي ولا أجد من يقف بجواري في أحلك الظروف، وها هي الآن تؤكد رفضها لي كعادتها، بالرغم من إقبالي عليها هذه المرة بطريقة مختلفة.

لقد شعرت باليأس الشديد حينما سمعت باحتمالية إصابتي بالمرض، ثم انقلب هذا الشعور لغضب.

ولكني بعد أن هدأت قليلًا وفكرت، شعرت أنه قد يكون اختبارا من الله لي ليمتحن صدق توبتي، ورغبتي في التغيير.

لذا فكرت أن أول خطوات توبتي يجب أن تكون بمساعدتك أنت، والإسراع بعمل التحليل، كي أطمئن قلبك، لعل الله يغفر لي وينجيني.

كما شعرت بوجوب اعتذاري لك عن كل ما جعلتك تمرين به، وقلقك وخوفك حتى ظهور النتيجة، وأعلم أن مجرد الاعتذار بهذا الشكل لن يعوضك أبدًا عن كل ما مر بك، لذا اسمحي لي أن أقدم لك مبلغًا من المال، ولا تظنينه تعويضًا، وإنما فلتعتبريه قربانًا مني تقربًا إلى الله لعله يرضى عني ويغفر لي، ولو أملك لتخليت عن كل ثروتي وثروة والدي والتي لم تجلب إليَّ سوى كل غم وحزن، ولم أرَ يومًا سعادة بسببها، كي أمحي هذه التجربة من حياتي وحياتك.

ستجدين في الكيس الأسود مبلغ مائة وخمسين ألف جنيه، وفي حالة ما كانت نتيجة التحليل إيجابية، سأعطيك مبلغًا مماثلًا.

أرجوك أن تقبلي اعتذاري وتسامحيني، وأن تدعي لي الله أن يسامحني."

ظهرت الدهشة على وجه دينا، وتبعتها ابتسامة رقيقة، مع انتهائها من آخر كلمات رسالة وائل لزينب.

جلست بجوارها، وهي تحوطها بذراعها ثم قالت:

- "الحمد لله يا زينب، يبدو أن الله يريد أن يكافئك، فهذا المال حقك، وبإذن الله غدًا ينتهي كل شيء وأنت صحيحة معافية وتملكين مبلغًا من المال، كم أنا سعيدة من أجلك"

كانت زينب مازالت تجلس على فراشها وعلى وجهها علامات الذهول، تسمع دينا وكأنها لا تسمعها، كأنها غائبة في عالم آخر، عالم من التساؤلات والدهشة، ما كل هذه الأحداث التي تمر بها في خلال ساعات فقط؟ تصارع الزمن من أجل حياتها، وتفقد من تحب، وتتبدل نظرتها للناس والحياة، وتحصل على مبلغًا من المال لو عملت عمرها كله ما حصلت على نصفه!

لا تستطيع أن تقرر أيبتليها الله، أم يكافئها؟ أهي في نعمة أم نقمة؟

- "أعلم يا زينب أنك في حالة من الذهول الآن، فما مر بك ليس بالقليل، ولكن حبيبتي بإذن الله حينما تهدأ الأمور ستتذكرين كل ما مر وتضحكين وكأنه لم يكن"

انتبهت زينب لكلام دينا، ونظرت لها نظرة مطوَّلة ثم هزت رأسها ببطء موافقة ثم عقبت قائلة:

- "ولكن هل تظنين أنه يمكنني قبول هذا المبلغ؟"

- "ولم لا؟ لقد أعطاه لك عن طيب خاطر، بل إنه لديه قناعة أن هذا المبلغ قد يكون نوع من التكفير عن أخطائه، فبالنسبة له أنت تقومين بعمل خدمة له بقبولك هذا المبلغ، ثم ألا يكفي القلق والتوتر الذي وضعك فيه؟ ألا يكفي خوفك وركضك وراءه دون أمل؟ أعلم أن ما مر بك لا تعوضه كنوز الدنيا، ولكن على الأقل فلتعتبري أن الله قد أرسل لك هذا المال مكافأة لك على صبرك عند الجزع"

نظرت لها زينب نظرة مطوَّلة، تشع بصخب الأفكار التي تتماوج في رأسها، وأرادت دينا أن تقطع استرسالها في هذه الأفكار، فعقبت:

- "والآن هيا بنا، أكاد أن أموت جوعًا، ومن المؤكد أنك أيضًا تشاركيني الشعور بالجوع فنحن لم نتاول شيئًا منذ الأمس، كما أظن أنك لا تريدين أن نبقى هنا طويلًا حتى لا يشك والدك في الأمر"

بدا على وجه زينب الانزعاج حينما أتت دينا على ذكر والدها، وقالت بكل قلق:

- "ماذا سأخبر والدي عن هذا المبلغ؟"

- "سنجد حلًا لهذا الأمر بإذن الله يا زينب، يمكنك إخباره بعد انتهاء الأمور وسيتفهم حينما يطمئن عليك وأنك أصبحت بخير، والآن فلتضعي المبلغ في مكان آمن لا يمكنه رؤيته حتى يأتي الوقت المناسب لإخبارك له بكل شيء"

نظرت زينب حولها حائرة تبحث عن مكان تخفي فيه النقود، ثم لمعت عيناها عندما وجدت ضالتها.

* * *

كانت زينب تنظر حولها بانبهار، وتتفحص ما حولها وهي تدخل مع دينا كايرو فستيفال سيتي حيث قررت دينا تناول الطعام هناك.

ولمعت عيناها كطفلة صغيرة تقف أمام قطعة من الحلوى حينما استقر بهما المقام في أحد المطاعم المحيطة بالنافورة الراقصة، والتي بالرغم من أنها كانت ساكنة عند وصولهما، فإن إعجاب زينب بالجو المحيط لم يخف على دينا؛ فلم يسبق لزينب دخول أي مكان مماثل لهذافي حياتها، بل إنها لم تعرف بأن مكان كهذا له وجودمن الأصل!

أمسكت زينب بقائمة الطعام وقلبت بين صفحاتها تحاول فك طلاسمها، وحينما لمحت دينا حيرتها، سألتها إذا كانت تسمح لها أن تختار لها طبقًا على ذوقها، وكأن عرضها هذا كان طوق النجاة لزينب والتي أنفرجت أساريرها مع تولي دينا لهذه المهمة.

وما إن طلبت دينا الطعام، حتى فوجئت زينب ببدء عرض النافورة الراقصة، فجلست تشاهدها فاغرة فمها وعيناها تملأها الاندهاش والإعجاب، وما إن انتهى العرض حتى قامت من مكانها وأخذت تصفق بكل حماس كطفلة صغيرة، غير عابئة بنظرات التعجب التي أحاطتها ممن كانوا

حولها عدا دينا، والتي كانت تنظر إليها، والابتسامة تملأ وجهها، سعيدة بسعادة زينب، وأنها استطاعت أن تسري عنها.

وعندما وصل الطعام، كانت زينب تأكل بحماس شديد، وشهية افتقدتها خلال الساعات الماضية منذ بدء تلك الأزمة، وبالرغم من أنها لم تفطن لكنه ما كانت تتناوله، فإنها كانت تأكل بتلذذ شديد، وتؤكد لدينا أنها لم تستمتع من قبل بتناول طعام مثلما فعلت الآن.

وما إن انتهيا من تناول طعامهما، حتى أخذتها دينا لتناول نوع من الحلوى لم تسمع به من قبل بالطبع، ولكن طعم القرفة والكريمة اللذيذة به أطار عقلها.

كانت دينا تحاول أن تفكر كيف يمكنها إسعاد زينب، ولكن ما لم تفطن له هي أنها كانت تحاول إسعاد نفسها معها، فهي لم تجد من يشاركها أي شيء منذ وفاة خالها، كانت تحلم بوجود صديقة يمكنها أن تخرج معها وتشاركها أي لحظات سعيدة، لذا فعلى قدر ما كانت زينب تشعر بالسعادة من تجربة كل ما تقترحه دينا، كانت دينا نفسها تشاركها نفس هذا الشعور بالرغم من أن هذه لم تكن أول مرة تقوم بتلك الأشياء.

فما معنى أو طعم الأشياء إذا لم نجد من يشاركنا فيها؟ فاللحظات السعيدة، لا تكتمل إلا بوجود من يمكننا أن نتقاسمها معه. حتى إذا كان على المرء أن يخوض تجربة أو رحلة بمفرده، فلا تكتمل سعادته إلا حينما

يجد من يقص عليه كل ما مر به، حينما يرى الإعجاب والتفاعل من الآخرين، حينها فقط يشعر بتمام بهجته.

وها هي دينا تجد من يشاركها بعض من اللحظات الجميلة، فتشعر بأن لكل شيء، بالرغم من بساطته، له طعم مختلف، ولأول مرة منذ زمن طويل، تضحك من قلبها وتشعر بالمرح الحقيقي.

اقترحت دينا أن تكون محطتهما التالية هي السينما، والتي ما إن نطقت باسمها حتى رأت الحبور في ملامح زينب، والتي أخبرتها أنها لم تدخل السينما في حياتها، وأنها كانت دائمًا تسمع من صديقاتها عن تلك الصالات المظلمة والتي تعرض فيها الأفلام على شاشات ضخمة، وكانت دائمًا ما ترجو محسن أن يأخذها لمشاهدة أي فيلم بها، ولكنه كان دائمًا ما يرفض متحججًا بانشغاله مرة، وبعدم رغبته مرات.

ودخلت زينب مع دينا إلى السينما وهي تشعر بالرهبة، رهبة من إحساسها بأنها تخطو نحو تحقيق حلم طال منذ زمن طويل، ورهبة من فخامة المكان بالنسبة لها؛ فهي لم تكن تتخيل السينما بهذا الشكل فمن وصف صديقاتها كانت تعتقد أنها مجرد صالة أصطفت ،فيها بعض من الكراسي المتهالكة أمام حائط أبيض كبير يتم عرض الفيلم عليه، ولكن ما وجدته كان مختلفًا تمامًا، فالقاعة أنيقة تتوسطها في المقدمة شاشة عرض كبيرة، ومقاعدها مبطنة بلونها المفضل، الأحمر، نعم لقد عاد ذلك اللون إلى مكانته في قلبها، فالآن هو يرتبط بالمرح والتجارب الجديدة!

خفت الأضواء وبدأ الفيلم، واندمجت الفتاتان معه، تقهقهان على أغلب مشاهده بشكل مبالغ فيه عن كل من حولهما دون قصد، فضحكهما كان مختلفًا عن الجميع، كان ضحك سعادة، ضحك الاستمتاع بالبدايات الجديدة.

ومع انتهاء الفيلم، قررا إنهاء رحلة اليوم والعودة بكل بهجة للمنزل.

وفي الطريق زارت الأفكار رأس زينب من جديد، ولكنها كانت هذه المرة أفكارًا مبهجة، فهي كانت تشعر بأن الحياة أصبحت راضية عنها، وأنها قررت أن تمنحها من السعادة ما افتقدته طوال حياتها، وها هي بالرغم من كل الأحداث ينتهي الأمر بقضائها وقتًا سعيدًا لم تحلم به من قبل وحصولها على مبلغ من المال لم تتخيل أن يمر حتى من أمامها، وغدا ينتهي كل شيء على خير، ففي أسوأ الفروض لو ظهرت نتيجة التحاليل إيجابية، فستتناول الدواء قبل انتهاء الـ 72 ساعة وستصبح بخير، فأي مشكلة يمكن أن تنغص عليها بعد ذلك؟!

❁ ❁ ❁

"وليست الحياة بعدد السنين ولكنها بعدد المشاعر
... لأن الحياة ليست شيئًا آخر غير شعور الإنسان
بالحياة "

سيد قطب

كانت دينا على وشك مغادرة المستشفى، حينما لمحت أسامة مقبلًا عليها وعلى وجهه ابتسامة ساحرة.

شعرت بالارتباك الذي دائمًا ما يصاحبها عندما تجد نفسها في موقف تضطر فيه للتعامل مع الآخرين، فالخجل دائمًا ما يكون بطل انفعالاتها، والذي يجعلها في حيرة من أمرها، لا تعرف كيف يجب عليها أن يكون رد فعلها، أتبادر بالتحية؟ أتتجاهل؟ أتقوم بالتحية ثم تسرع بالانصراف؟ أم يجب عليها إجراء حوار؟ أهي المسؤولة عن اختيار دفة الحوار..؟ تساؤلات كثيرة تواجهها كل يوم عندما تقابل من تتعامل معهم في كل مكان.

وقبل أن تحسم الصراع الدائر في عقلها، كان هو قد وصل قرابتها وألقى عليها التحية، فما كان منها إلا أن ردت تحيته وقبل أن تغرق في حيرتها مرة أخرى، كان هو يسألها عن زينب وآخر الأخبار.

لم تشعر أنها فوجئت بسؤاله؟ تعجبت من نفسها، فعن أي شيء آخر كانت تتوقع أن يحدثها؟

أخبرته أن زينب مازالت معها بالبيت، وأنها تركتها نائمة صباحًا وأسرعت هي للمستشفى لتحضر بعض الأشياء التي نسيتها يوم أن ذهبت مع زينب، كما أنها أرادت أن تقدم على طلب إجازة لها هي وزينب حتى تنتهي كل الأحداث الحالية.

ثم أكدت له أنهما في انتظار نتيجة التحليل، وسيذهبان في موعد تسلم النتيجة ليطمئنا ويريا إذا كانت زينب ستحتاج لأخذ الدواء في حالة ما كانت النتيجة إيجابية.

عرض أسامة عليها أن يصاحبهما، وأخبرها أنه بحلول موعد تسلم النتيجة سيكون قد انتهى من عمله بالمستشفى، فيمكنه أن يمر عليهما ويأخذهما لاستلام النتيجة.

شكرته دينا بكل امتنان وأخبرته أنه لا داعي لهذا، ويكفي فقط أن يقوم بالتأكد من ذهاب وائل لاستلام نتيجة الاختبار في الوقت المحدد، لأنهما لن يستطيعا الحصول على النتيجة بدون وجوده.

طمأنها وأكد لها أنه سيقوم بمتابعة وائل، ولكن عليها أن تثق في أنه سيذهب، وشاركته في يقينه بأنه سيذهب، فهي بعدما قرأت رسالة وائل لزينب، شعرت بصدق ندمه ورغبته في مساعدتها، وتذكرت المبلغ الذي تركه لزينب، ففكرت أتخبر أسامة عن هذا المبلغ؟ ثم تراجعت سريعًا عن هذه الفكرة، ففي النهاية الأمر لا يخصها، وإنما يخص زينب ووائل، وليس سواهما، فإن أراد أحدهما البوح أو ذكر أي شيء عنه، فهذا يرجع إليهما هما فقط.

ولما لم تجد دينا ما يمكن قوله، وخيم الصمت عليهما، حيته وهمت بالانصراف عندما قال:

- "نسم علينا الهوا"

نظرت له باندهاش، لا تفهم ماذا يقصد، فأكمل قائلًا:

- "هذه هي الأغنية التي أراها استثناءً من أغاني فيروز، فمتى سمعتها فإنها تبعث في نفسي المرح، يمكنك اعتبارها أغنيتي المفضلة لها"

ابتسمت ولم تعقب سوى بإيماءة من رأسها، ثم تركته وانصرفت وما إن اختفت عن عينيه حتى اتسعت ابتسامتها، وسألت نفسها، لماذا لم تخبره بأن هذه هي أغنيتها المفضلة أيضًا؟

* * *

في الطريق لمستشفى الحميات، تلقت دينا اتصالًا من أسامة أكد لها فيه أنه اتصل بوائل والذي أكد له بدوره أنه في طريقه للمستشفى.

وقبل أن تنتهي المكالمة، طلب منها أسامة أن تطلعه على نتيجة التحليل فور علمها به.

بدت علامات الامتنان على وجه زينب عندما علمت من دينا ما أخبرها به أسامة، وبدت أكثر هدوءًا وتفاؤلًا عن البارحة، فيبدو أن نزهتها مع دينا بالأمس قد تركت بداخلها سعادة تغلبت على قلقها وتمكنت من السيطرة عليه.

بل ويبدو أن آثار الأمس قد طالت دينا هي الأخرى فكانت في حالة مزاجية ممتازة، فقررت أن تستمع لأغنيتها المفضلة، والتي ما إن أدارتها حتى

اندمجت الفتاتان معها، وبدأت الأثنتان في الغناء، ليعلو صوتهما معها بحماس شديد وهما ترددان :

"يا هوا يا هوا يللي طاير بالهوا

في منتورة طاقة وصورة

خدني لعندن يا هوا"

واستمرت تلك الحالة المرحة حتى وصلتا للمستشفى، ليدخلاها وهما في حالة مختلفة تمامًا أكثر مرحًا عما كانتا به عند ولوجهما المستشفى بالأمس.

قابلا وائل وهما في طريقهما للمعمل، والذي كان على عكسهما تمامًا، كان يبدو عليه الجزع، والإرهاق الشديد الذي ترك آثاره على وجهه، والتي أكدت لهما أنه لم ينم ولو للحظة واحدة طوال الليل.

لم يكن هناك أي مجال لأي حوار من أي نوع، فليس هناك ما يمكن أن يقال الآن، فدخل الثلاثة المعمل في صمت مهيب، وتقدم وائل لموظف المعمل، وسأله عن نتيجة التحليل بصوت مبحوح لا يكاد أن يسمع.

مرت عليه الدقائق، حتى أحضر الموظف النتيجة، كالدهر، شعر وكأن الكون كله قد توقف وأبى أن يتحرك، ليزيد من قلقه وتوتره، إذعانًا له وعقابًا له على كل أخطائه.

عاد الموظف وعلى وجهه خليط من النظرات، لم يفهمها وائل، أو رفض أن يفهمها، وكذب نفسه أكثر من مرة، حتى أخذ النتيجة من يد الموظف،

ولكنه لم يقو على فتحها وقراءة ما بها، فعاد بنظره للموظف يسأله بدون صوت عن النتيجة وقدماه لا تقوى على حمله، فأومأ له الموظف إيجابًا وهو يحاول أن يتجنب النظر إليه، ليسقط وائل على أقرب كرسي إليه، ويعلو نشيجه.

* * *

لم تقف زينب أمام صدمتها كثيرًا، وتمكنت من تخطيها بشكل أسرع من وائل، فقد شعرت أن الوقت ليس في صالحها، ومن الأفضل لها التحرك سريعًا بدلًا من الولولة والنحيب الذي لن يأتي بخير، فطلبت من وائل نتيجة التحليل، والذي قام بتسليمها إيَّاها دون وعي كاف، فقد كانت الصدمة لا تزال تسيطر عليه.

أخذت النتيجة وانطلقت تعدو في طرقات المستشفى، حتى وصلت لمكتب سناء عبد الرحيم، الطبيبة التي قابلتها سابقًا والتي يمكنها الآن صرف الدواء لها بعدما أتت لها بنتيجة التحليل الإيجابية.

قابلتها سناء بتجهمها المعتاد، وتأففها وهي تسمع من زينب طلبها في الحصول على الدواء، وهي تؤكد لها أنها قد حصلت عن نتيجة التحليل كما طلبت منها، وما إن انتهت زينب من كلامها، حتى نظرت سناء إلى ساعتها، وقالت بمنتهى البرود:

- لا يمكنني صرف الدواء الآن.

نظرت لها زينب باندهاش، وبادرتها دينا بالسؤال:

- لماذا؟ معنا نتيجة التحليل كم"..

قاطعتها سناء بنفاذ صبر:

- "الدواء موجود بخزينة المستشفى، والخزينة قد أغلقت الآن ولن يمكنني صرف الدواء، فلتعودي غدًا"!

ناظرتها زينب وهي مصعوقة، ولا يمكنها أن تصدق ما تقوله، وهمت بمناقشتها ولكن سناء لم تعطها أي فرصة، وطردتها للمرة الثانية من مكتبها، متعللة بأنه قد حان موعد انصرافها هي الأخرى.

وقفت زينب ودينا في الطرقة الطويلة أمام مكتب سناء، يلفهما الصمت، والذي قطعته دينا بقولها:

- "لا تقلقي يا زينب، مازال لديك الوقت لتناول الدواء، فلو عدنا غدًا في الصباح المبكر، سيكون مازال هناك وقتًا كافيا قبل انتهاء فترة الـ 72 ساعة"

نظرت لها زينب نظرة زائغة، وبأنفاس متقطعة، بدت وكأن الهواء لا يصل لرئتيها، هزت رأسها ببطء مع حركة من كتفيها تعني استسلامها وقلة حيلتها.

في هذه اللحظة ظهر وائل في الأفق، يخطو باتجاههما بخطوات بطيئة متثاقلة، وبرأس مطأطأ، لا يمكن معرفة إذا كان لا يقوى على رفعه من

حالة الضعف التي تبدو عليه، أم من شعوره بالخزي وعدم قدرته على مواجهة الحقيقة، ومواجهتهما.

ومع وصوله إليهما، رن هاتف دينا، فتنحت جانبًا لترد بينما حاول وائل أن يتجنب النظر لزينب وهو يسألها إذا كانت قد تمكنت من تناول الدواء، وحينما أخبرته زينب بما حدث، غاب الدم عن وجهه، وبدا عليه الشعور بالذنب أكثر، وبصوت مبحوح، قال:

- "أنا آسف لجرك معي في كل هذه المشاكل التي لا ذنب لك فيها، أعلم أنه لا يوجد أي اعتذار كاف، ولكن أرجوك أن تسامحيني، وبإذن الله تتمكنين غدًا من أخذ الدواء في الوقت المناسب"

لم تعقب زينب، فابتلع ريقه الجاف، ثم أردف، وهو يخرج ورقة من جيبه ويعطيها لزينب:

- "هذا شيك بالمبلغ الذي وعدتك به في رسالتي، في حالة ما كانت نتيجة التحليل إيجابية"

همت زينب بقول شيء،فلم يعطها فرصة وعقب مكملًا:

- "أعلم أنك بإذن الله ستتناولين الدواء غدًا، وبإذن الله ستكونين بخير، لكن كي يستريح ضميري وأشعر بأنني قد كفرت عن جزء صغير من ذنوبي وأخطائي، أرجوك أن تقبلي هذا المبلغ مني، وياله من ثمن بخس! لي طلب واحد فقط عندك، إذا كنت تسمحين لي بالطلب"

نظرت له زينب مستفهمة، وانضمت لها دينا وقد أنهت مكالمتها، فنظر لها وائل بطرف عينه، ثم أخفضها سريعًا باحراج وهو يقول:

- "أرجو أن تغفري لي وتدعي لي بأن يغفر الله لي، فقد يستجيب الله لك ويسامحني"

أومأت له زينب إيجابًا، وأكدت له قولًا بأنها تسامحه ولن تنسى الدعاء له، وأنها تعلم جيدًا أنه بالرغم من أن إصابتها كانت بسببه، فإنه في النهاية لم يكن يقصد إيذائها.

نظر لها ممتنًا بعينين تحجرت العبرات بهما، وأكد لها قبل أن ينصرف أنها لو احتاجت أي شيء في أي وقت فإنه لن يتأخر عن مساعدتها إذا كان هناك ما يمكنه فعله.

نظرت له زينب وهو يبتعد، ولم تقل سوى عبارة واحدة:

- "سبحان مغير الأحوال"!

* * *

قررت دينا أن تمنح زينب مساحة من الوقت تختلي فيها بنفسها مع أفكارها، فاتخذت من الصمت صديقا لها، طوال طريقهما للمكان الذي طلبت منها زينب أن تأخذها إليه.

تعجبت دينا في بداية الأمر عندما طلبت منها زينب أن تأخذها حيث النافورة الراقصة، ولكنها سرعان ما ابتلعت دهشتها، ورأت أن اختيارها

هذا منطقي عندما تذكرت نظرات زينب وهي تتابع عرض النافورة وفرحتها الطفولية بالأمس.

لذا آثرت الصمت وهي تجلس بجوارها بالمدرج القائم أمام النافورة الراقصة، وتشاغلت بإرسال وتلقي الرسائل على هاتفها، على أمل أن تنجح تلك النافورة في إعادة بعض من المرح لزينب أو على الأقل قد تحد من تعاقب الأفكار على رأسها.

لم تقصد زينب تجنب الحديث مع دينا، ولكنها كانت مشوشة الذهن، لا تعرف ماذا تقول، لذا فقد جلست شاردة العقل، تتأمل تراقص المياه أمامها، وتشعر كأنها تجسد لحظات حياتها غير الثابتة على حال، فلحظة تجد نفسها ترتفع لأعلى الدرجات ثم تهوى دون سابق إنذار لترتطم ارتطاما مدويًا، ثم تعود لترتفع من جديد، أهناك أمل أن يعاود منحنى حياتها الصعود؟

لا تعرف دينا كم من الوقت جلست فيه زينب على هذا الحال، ولكنها تعرف أنه بالرغم من توقف العرض منذ فترة، فإنها ظلت على حالها من الشرود، ولم يقطع صمتهما سوى صوت مألوف لهما أتى من خلفهما قائلًا:

- "كيف الأحوال الآن؟"

التفتت الاثنتان، ولم يبد الاندهاش على دينا على عكس زينب والتي قالت متعجبة:

- "دكتور أسامة؟! ما الذي أتى بك إلى هنا؟"

ابتسم أسامة، وقال مازحًا:

- "يبدو أنني غير مرغوب في وجودي، يمكنني الانصراف يا زينب"

- "عفوا يا دكتور، لم أقصد، أنا فقط مندهشة، هل هذه صدفة؟"

تبادل دينا وأسامة النظرات المبهمة للحظات، قبل أن تقول دينا:

- "الحقيقة يا زينب أن دكتور أسامة كان يتابع معي كل الأخبار منذ أن كنا بالمستشفى، فقد اتصل ونحن هناك ليعلم نتيجة التحليل وعلم بما حدث، واستمر في متابعة أحوالك معي بالرسائل، وعندما علم أننا هنا أراد أن يأتي ليطمئن عليك"

نظرت زينب لأسامة بامتنان، وقالت:

- "أنا بخير يا دكتور، أنا فقط أحاول أن أستوعب تذبذب كل الأحداث التي مرت بي ولا أعلم علام ستستقر! آسفة أنني قد تسببت لك ولدكتورة دينا بكل هذا القلق، وأعتذر لك لأنني جعلتك تأتي خصيصًا إلى هنا"

- "أمري إلى الله يا زينب، ماذا كان يجب عليَّ أن أفعل، فقد أجبرتني الدكتورة دينا على الحضور رغمًا عن أنفي"

تقافزت الدهشة على وجه الفتاتين، فما كان منه إلا أن ضحك، مؤكدًا لهما أنه يمزح، ولكن في نفس اللحظة فرض سؤال نفسه على رأسه، أهو حقًّا يمزح؟

* * *

جلست زينب ودينا في أحد المقاهي الأنيقة الملتفة حول النافورة الراقصة، والذي أصر أسامة على دعوتهما به، وذلك بعد رفضهما دعوته الأولية لتناول الطعام، وموافقتهما على استحياء، وبعد مناقشات طويلة على احتساء مشروب سريع بالمقهى.

لم تحتاج زينب هذه المرة المساعدة في الاختيار، فقد حسمت أمرها سريعًا كيلا تتوه في القائمة كما فعلت بالأمس واختارت الليمون، وخاصة أنها كانت بحاجة لما يساعدها على تهدئة أعصابها، وتجنبت تلك الأسماء المعقدة والتي خشيت أن تكون مشروبات كحولية أو ما شابه ولكن سرعان ما تبددت مخاوفها تلك عندما وجدت دينا وأسامة يطلبون من تلك الأسماء العجيبة بكل ثقة!

خيم الخجل والإحراج على الجلسة، وخاصة على دينا تحديدًا، فهذا طبعها الذي يلازمها كظلها ولا يمكنها الفكاك منه مهما حاولت.

أراد أسامة أن يقطع من هذا الصمت، فقال بابتسامة واسعة على وجهه، وموجهًا كلامه لدينا:

- "يا ترى كم لديك من القطط؟"

اندهشت دينا للغاية، ثم وجهت نظرات عتاب لزينب، والتي قالت نافية عن نفسها التهمة:

- "صدقيني لم أتفوه بكلمة"

لم يتمالك أسامة نفسه، وانفجر ضاحكًا وهو ينقل بصره بين الاثنين، مما أغضب دينا قليلًا وظلت تنظر لزينب بشك والثانية تهز رأسها تؤكد نفيها، فقطع أسامة ضحكه وقال بابتسامة واسعة:

- "زينب بريئة فعلًا، لقد علمت كل شيء من قططك"

حينما أجابته دينا بنظرة غاضبة، تنحنح وهو يتدارك:

- "أقصد آثار قططك، لقد وشى بك شعر القطط الذي يغطي ملابسك"

قامت دينا بحركة لا إرادية بنفض ملابسها بإحراج شديد، فما كان من أسامة إلا أن قال بابتسامة حانية:

- "لا تقلقي، هذه الضريبة التي يدفعها أصحاب القلوب الرحيمة ومحبو القطط، حتى أنا لم أسلم من هذا الأمر" قالها وهو ينفض ملابسه هو الآخر

نظرت له دينا لثوانٍ غير مصدقة، قبل أن تقول بتشكك:

- "ألديك قطة؟"

رد بكل فخر:

- "بل قططتين، وأنت؟"

ابتسمت دينا وهي تقول:

- "ثلاثة، الحقيقة كانوا أربعة ولكن"...

قاطعها صوت رنين هاتف زينب واستئذانها منهما أن تقوم للرد بعيدًا.

ابتعدت زينب قليلًا وتركتهما ليكملا حديثهما عن القطط لترد هي على والدها. أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تجيب هاتفها، أرادت أن تبدو متماسكة ولا تخطئ في الحديث معه.

قابلها صوته الملهوف يسألها عن أحوالها وأحوال دينا وإذا كانت دينا قد أخذت الدواء. حكت له عما حدث وقبل أن يقلق، طمأنته بأن دينا ستذهب مبكرًا قبل انتهاء الفترة المقررة لتناول الدواء وستأخذ الدواء وسيكون كل شيء على ما يرام.

أحقًّا سيصبح كل شيء على ما يرام؟ سؤال ظل يلح على عقلها وهي تعود لطاولة دينا وأسامة.

* * *

ودع أسامة دينا وزينب بعد أن عقد اتفاقًا معهما بأن يمر في الصباح الباكر عليهما ليأخذهما لمستشفى الحميات، وبعد جدال طويل، اتخذ قرارًا صارمًا ولم يدع لهما مجالًا للمناقشة، وأخبرهما أنه سيمر في كل الأحوال، فإن أصرًا على موقفهما، فسيجر أذيال الخيبة، ويضطر إلى أن يتبعهما بسيارته، ففي كل الأحوال هو قد قرر أن يصاحبهما ليطمئن أن زينب ستحصل على الدواء في الوقت المناسب، وخاصة أن يوم الغد هو يوم عطلته، فلن يرتاح حتى يتأكد أن كل شيء يسير على ما يرام.

بعد أن انصرف أسامة، بدأ الجوع ينهش معدتهما، فعرضت دينا أن يقوما بتناول الطعام في أي مكان، ولكن زينب قالت مقترحة:

- "ما رأيك أن تدعيني أطهو لك شيئًا اليوم؟"

- "ولكن لا داعي لتعبك يا زينب، يمكننا تناول أي شيء هنا"

- "صدقيني الطهي بالنسبة لي هواية، ويشغل بالي كثيرًا، وأنا أحتاج لهذا الآن، صحيح أنني لن أتمكن من عمل أصناف كالتي تناولناها بالأمس، وقد يكون طعامي تقليديًّا ولكن دائمًا ما يثني الجميع على طهي، ما رأيك؟"

تحمست دينا للفكرة، ووجدت أنها قد تلهي زينب قليلًا عن التفكير، وما إن وافقت دينا، حتى طلبت منها زينب أن يقوما أولًا بشراء بعض ما ستحتاجه للطهي.

ما إن دخلا (كارفور) حتى ظهرت الدهشة الشديدة على زينب، فلأول مرة في حياتها ترى محلًّا للبقالة بهذا الحجم، وعندما فوجئت بوجود الخضروات والفاكهة وكل ما يمكنها أن تتخيله في مكان واحد، ظنت أنه سوقًا كبيرًا، ومع هذا فهي لم ترى من قبل سوقًا بهذا التنظيم والنظافة!

- "يبدو أن في الدنيا أشياء كثيرة لم أكن أعلم بوجودها من قبل، حتى الأسواق لم أتخيل أن تكون بهذا الشكل في نفس البلد الذي أعيش فيه كل هذا العمر"!

ابتسمت دينا مشفقة، ولكن زينب أكملت:

- "لا تحزني من أجلي يا دكتورة، الحمد لله أنا راضية بحالي، كما أنني سعيدة لأنني اكتشفت هذه الأشياء قبل أن أموت"

انقبض قلب دينا، وظهر هذا على وجهها، وهي تقول:

- "بعد الشر عليك يا زينب، لا تقولي هذا"

ضحكت زينب كي تخفف عنها وقالت:

- "لا أقصد شيء، لقد اكتشفت فقط أنه لولا هذه الأزمة، لكنت عشت ومت دون أن أكتشف كل هذه الأشياء، قد تبدو أشياء بسيطة لا قيمة لها، ولكن بالنسبة لي سعدت بأنني عرفت بوجودها"

- "العمر الطويل لك بإذن الله، أعدك أن نقوم باستكشاف أماكن أخرى أكثر إثارة بعد اطمئناننا عليك"

قالت زينب بفتور:

- "بإذن الله "

ثم انقلب الفتور لحماس زائف عندما قالت:

- "والآن هيا لنشتري كل شيء، سأجعلك تأكلين طعامًا لم تتناولين مثله، أو هكذا أتمنى"

* * *

- "صدقت يا زينب، فعلًا لم أتناول طعامًا مثل هذا أبدًا، وبهذه اللذة، يبدو أنك فعلًا طاهية ماهرة، لهم حق من كانوا يثنون على طعامك"

- "أعلم أنك تبالغين، وأن الطعام ليس فاخرا كالذي تناولناه بالأمس، ولكن أتمنى أن يكون الطعام على الأقل مقبولًا بالنسبة لك"

- "صدقيني أنا لا أبالغ، انظري حتى القطط يبدو عليها الاستمتاع بطعامك" قالتها وهي تضحك ثم عقبت هامسة:

- "هل أطلعك على سر؟"

بدا الاهتمام على زينب، وهي تقول:

- "خير؟"

- "حسب ما أذكر، هذه أول مرة أتناول فيها المكرونة بالباشاميل المنزلية، وهي لا تشبه أي شيء تناولته من قبل في أي من المطاعم التي تدعي تقديمها للمكرونة بكل أصنافها، فهذه ألذ بكثير ولها نكهة خاصة"

نظرت لها زينب نظرة متشككة، لا يمكنها أن تصدق ما تقوله دينا، وسألتها باندهاش كبير:

- "وكيف هذا؟"

- "أين كنت سأتمكن من تناول طعام منزلي كهذا؟ فخالي رحمة الله عليه، كان يحاول أن يطهو لي بعض الطعام ولا أنكر أنني كنت أحب محاولاته، ولكنها كانت للأسف محاولات متواضعة، لأصناف محدودة فقط،والتي كان يتقن صنعها، فكنا نقضي معظم أوقاتنا نتاول شوربة العدس والبطاطس مع الدجاج المقلي، بالإضافة إلى بعض التنوع المتمثل في البيض المقلي والتونة"

ضحكت دينا وهي تسترجع ذكرياتها مع خالها، وأكملت:

- "لقد حاولت حينما كبرت أن أتعلم الطهي بنفسي، ونجحت في اتباع الوصفات التي تعرض على قنوات الطهي ولكن دائمًا ما كانت هذه الوصفات للأكلات غير التقليدية، وليست الأطعمة التي تطهى في أغلب البيوت المصرية، أتعلمين؟ أنا لم أذق في حياتي المحشي بكل أنواعه، لأنني بالطبع لا أعرف كيف ألفه أو أقوم بطهيه، ولأنني طالما ما سمعت من خالي أن الجاهز لا يكون أبدًا بلذة المطهو في البيت، فلم أحاول تجربته بالخارج"

كانت زينب تسمع لها وعلى وجهها علامات الدهشة، كانت تعتقد أن من ولدوا وعاشوا في ظروف أفضل منها، لا يوجد لديهم شيء يصعب عليهم الحصول عليه، ففي اعتقادها، مادامت إمكانياتهم تسمح، ما الذي يمكن أن يعيقهم عن الحصول على أي شيء؟! إن دينا تتحدث عن شيء، في وجهة نظرها هي، أمر تافه للغاية، أيمكن أن يكون الطعام المطهو في المنزل، أمرًا صعب المنال بالنسبة للبعض، وخاصة إذا كانت لديهم الإمكانيات المادية الكافية؟

قالت دينا عندما رأت علامات التعجب على وجه زينب وكأنها قد سمعت أفكارها:

- "قد يبدو الأمر بسيطًا، ولكني طوال عمري كنت أفتقد شيئًا ما في طعامي، نكهة لم أجدها في أي مكان. كنت أسمع زميلاتي بالمدرسة والجامعة يتحدثن عن لذة طعام والداتهن، واختلافه عن أي طعام آخر، وعن

الأصناف التي لا يجدن من يقوم بعملها مثل أمهاتهن، فأتمنى ولو أتذوق أي من هذه الأصناف، كنت متأكدة أن طعم هذا الطعام سيكون مختلفًا وأحلى من أغلى طعام تناولته في أفخم المطاعم، والآن تأكدت من اعتقادي، فطعامك فعلًا يا زينب قد حقق لي أمنيتي وملأ عندي الجزء المفقود الذي كنت أبحث عنه طوال عمري. يبدو أنك لست وحدك من فاتك الكثير،والذي كنت تجهلين وجوده طوال عمرك، وإنما أنا أيضًا، مازال لديَّ الكثير لأكتشفه"

- "إذا كتب الله لي العمر، فسأقوم بطهي لك كل الأصناف التي ترغبين بها"

- "بإذن الله يكتب الله لك العمر الطويل، وسأطمع في أكثر من هذا، سأجبرك على أن تفصحي لي عن سر لذة طعامك وأن تعلميني الطهي كما يجب"

قالتها دينا ضاحكة، فشاركتها زينب الضحك وهي تقول، وكأنها تشاور عقلها:

- "أفكر"

ارتفعت ضحكات الفتاتين وقامتا لإعداد الشاي.

* * *

لا تعرف زينب كيف مرت عليها تلك الليلة، حتى قامت لأداء صلاة الفجر، ولم تتمكن من معاودة محاولاتها الفاشلة في النوم، فقد كان التوتر والترقب كافيين لإطارة النوم من عينيها.

وبالرغم من تظاهر دينا استغراقها في النوم، حتى لا تنقل لزينب توترها، فإنها هي الأخرى لم يغمض لها جفن.

وبينما هي تتقلب في فراشها، تنتظر الساعات الأولى من الصباح لتنطلقا للمستشفى، فوجئت بصوت وصول رسالة على هاتفها.

فتحت هاتفها على عجالة وهي تتعجب ممن ستكون تلك الرسالة في هذا الوقت، وازدادت دهشتها أكثر حينما قرأت الرسالة ووجدت أنها من أسامة، يسألها إذا كانت مستيقظة أم لا.

ظلت تنظر للرسالة، لا تعرف أتجيب أم لا، ولكن كان الفضول يقتلها لتعرف سببها، ووجدت أنه لا مفر من أن تجيب، فمن المؤكد أنه قد ظهر له أنها رأت الرسالة، وسيكون من غير اللائق تجاهلها له، أو على الأقل هكذا أقنعت نفسها.

أجابته إجابة مقتضبة بالإيجاب، وقبل أن تعيد الهاتف بجوارها، جاءها تنبيها جديدًا بوصول رسالة أخرى.

- "توقعت أن يجافيك النوم، أنا أيضًا لم أتمكن من النوم"

- "نعم، أنا قلقة على زينب، ولكن لا أريدها أن تشعر بهذا"

- "أعتقد أن كل هذا التوتر سينتهي بعد ساعات بإذن الله"

- "أتمنى هذا، ولكن الانتظار صعب، فالدقائق تمر كأنها دهرًا"

- "معك حق، ولكن الانشغال بأي شيء يساعد على مرور الوقت أسرع"

- "لا أجد ما يمكنه أن يشغلني الآن، فتوتري يمنعني حتى من التفكير"

- "ما رأيك أن تخبريني كيف لم أقابلك من قبل بالمستشفى؟"

حاولت دينا كتابة رد لهذا السؤال وفي كل مرة تمحو ما كتبت وتعاود الكتابة من جديد، فكيف ستخبره أنه بسبب خجلها وانطوائها، فهي لا تعرف أغلب من بالمستشفى.

ولما طال صمتها ولاحظ أسامة أنها قد استغرقت وقتًا طويلًا في كتابة الرد دون أن يصله شيء، كتب هو:

- "ربما هذا بسبب حظي العثر"

نمت ابتسامة على طرف شفتي دينا، وتملك منها الخجل، فأرادت أن تغير دفة الحديث، فكتبت:

- "لم تخبرني بأسماء قططك"

شعر بأنها تحاول تغيير الموضوع، فلم يرد إحراجها، واستجاب لطلبها ليخبرها بأنهما "ستوتة وجعفر"

* * *

لا تعرف دينا كم مر عليها من الوقت، فقد طال حوارها مع أسامة عبر الرسائل، حتى فوجئت بزينب تطرق الباب عليها وتخبرها بأنها تستعد للنزول.

نظرت في ساعتها فوجدت أن الساعة قد اقتربت من السابعة صباحًا، فقفزت من فراشها مصعوقة، لا تستطيع أن تستوعب كيف مر كل هذا الوقت دون أن تشعر.

أخبرت زينب أنها ستستعد في خلال دقائق، ثم أرسلت رسالة سريعة لأسامة تخبره بأنهما تهمان بالنزول، وتركت هاتفها لترتدي ملابسها، وعادت لتجد رسالة منه يخبرها بأنه سيكون في انتظارهما أسفل العمارة.

ردت عليه بأنه لا يوجد وقت كاف حتى يصل، فزينب لن تصبر حتى يأتي، كما أنها هي نفسها لا تريد تضييع ولا دقيقة واحدة، لأنها لن تهدأ حتى تطمئن على حصول زينب على الدواء.

لم تتلقَّ ردًّا منه، ولم يكن لديها الوقت لتنتظر رده، فأخذت زينب ونزلتا على عجالة، وما إن خرجتا من بوابة العمارة حتى فوجئت الاثنتان بأسامة يقف أمام سيارته في انتظارهما وعلى وجهه ابتسامته المعهودة، وقال:

- "ألم أقل لك أنك ستجدينني في انتظاركما؟"

ألجمت الدهشة لسان دينا، ولكن حملت عيناها كل التساؤلات التي التقطها أسامة على الفور، فأجابها دون سؤال:

- "أنا أقطن على بعد دقائق من بوابة الرحاب"

هزت رأسها دلالة على استيعابها، ثم تحرك الجميع، دون اتفاق، للسيارة لينطلقوا في اتجاههم للمستشفى.

خيم الصمت على الجميع طوال الطريق، وكأن على رؤوسهم الطير، وبالرغم من أن الطريق لم يكن مزدحمًا، فقد شعروا جميعًا وكأن المسافة قد طالت أكثر من اللازم.

ألقت دينا نظرة على زينب الساهمة بالخلف، يبدو عليها التماسك الظاهري، ولكن دينا كانت تعلم أن ما هذا سوى هدوء خارجي يغلف عواصف من القلق والخوف تسهج بداخلها، وكيف تلومها وهي نفسها تشعر بالتوتر الشديد، فبالرغم من معرفتها أن تناول زينب الدواء في الوقت المناسب سيساعدها كثيرًا في التحكم في مرض الإيدز، ولكنها تعلم أيضًا جيدًا، أن هذا ليس بعلاج سيخلصها من المرض نهائيا، سيسيطر عليه، ولكنه لن يعالجه تمامًا، ترى هل تعلم زينب بهذا؟

* * *

وصل الثلاثة إلى مكتب سناء عبد الرحيم قبل وصولها هي نفسها، فوقفوا أمام المكتب في انتظارها، وما بين الدقيقة والأخرى كانت زينب تنظر في ساعة يدها بتوتر.

وبعد فترة، بدت لهم غير قصيرة، أقبلت عليهم سناء بوجهها المكفهر، والذي بدأت زينب تعتقد أنه يلازمها، ولا يفارقها، وكأن وجهها قد خلق بهذا الشكل، بالجبين المقطب، والعينين المضيقتين، والشفتين المزمومتين!

دخلت سناء المكتب فتبعها الثلاثة، تتقدمهم زينب.

نظرت لها سناء نظرة كلها نفور واستفهام، وكأنها لم تقابلها فقط بالأمس، ولم تختم يوم عملها بمشكلتها!

واختصارًا للوقت، أعادت زينب شرح مشكلتها من جديد سريعًا، وطلبت منها صرف الدواء فورًا، فالمتبقي من فترة ال ٧٢ ساعة لم يعد بالكثير.

أخبرتها سناء، بعدم اكتراث، أنها تحتاج إلى تقرير بالواقعة كاملة من المستشفى التي تعمل بها زينب، وأنها بدون هذا التقرير لن تتمكن من صرف الدواء لها!

لم تصدق زينب ما سمعته منها، ووقفت تبادلها النظرات لمدة ثواني تحاول استيعاب ما تقول، فتدخلت دينا وسألتها لمَ لم تخبرهم باحتياجها لهذا التقرير عندما قابلوها بالأمس، فردت بكل برود:

" -لقد نسيت"

لم تستطع زينب تمالك أعصابها، وكادت أن تجن، وشاركها أسامة ودينا الشعور بالغضب، وكاد أسامة أن يبطش بسناء لولا تدخل دينا سريعًا بقولها:

" -لا وقت لأي مناقشات الآن معها، علينا أن نتحرك سريعًا. يمكنني كتابة التقرير لزينب ولكن يجب أن يتم التصديق عليه من المستشفى، لذا علينا التحرك سريعًا"

وافقها الاثنان دون كلمة، وانطلق الثلاثة في اتجاههم للمستشفى.

* * *

- "المدير في اجتماع، عليكم انتظاره حتى ينتهي"

كانت هذه هي العبارة التي صدمتهم بها السكرتيرة، حينما طلبوا تصديقه على التقرير حتى تتمكن زينب من تقديمه لمستشفى الحميات.

حاولت دينا شرح الموقف للسكرتيرة، وخطورة الانتظار، وأنهم لا يملكون من الوقت الكثير للانتظار لنهاية الاجتماع، ولكن كل محاولاتها ذهبت أدراج الرياح، فقد أخبرتهم السكرتيرة بأن المدير في اجتماع مع ضيف هام للغاية، وقد شدد عليها ألا يتم مقاطعته تحت أي ظرف.

لا تعلم دينا إذا كان المدير قد قام بالفعل بالتشديد عليها بهذه التعليمات، أم أنها تبالغ فقط كي تريح نفسها من عناء مقاطعته، وأيًّا كان السبب فالمحصلة واحدة، فهم مجبرون على الانتظار، ليس بيديهم سوى الإذعان والدعاء أن ينتهي هذا الاجتماع في أسرع وقت.

كانت زينب في هذه الأثناء في حالة شديدة من الإعياء، لا يمكنها رفع عينيها الزائغتين عن الساعة المعلقة بمكتب السكرتيرة، وكأنها تعد الدقائق والثواني المتبقية، وتود لو أنها تستطيع أن توقف عقارب تلك الساعة اللعينة عن الدوران.

حاولت عدة مرات حساب الوقت المتبقي ولكنها لم تستطع، كان عقلها يرفض في كل مرة أن يقوم بالعملية الحسابية، فهذا لن يعني سوى أنه قد تبقى سويعات قليلة وتصبح حياتها كلها مهددة بالخطر، فلن يقتصر الأمر

فقط على تهديد صحتها، بل سيدرج اسمها على قائمة المصابين بالمرض، مما يعني أنه سيتم معاملتها معاملة خاصة، ستفقد عملها بالتأكيد، فمن سيسمح لممرضة مصابة بالإيدز بالتعامل مع المرضى مع وجود احتمالية لنقلها المرض لهم تحت أي ظرف من الظروف؟ لن تتمكن من الزواج والانجاب، فمن سيتزوج مريضة يمكنها أن تنقل له المرض؟ بل كيف ستسمح هي لنفسها بالانجاب مع احتمال نقل المرض لابنائها؟! سيتجنبها الناس، وستعامل معاملة مختلفة بسبب لا ذنب لها فيه. من المؤكد أن حياتها، إن لم تتلقَّ العلاج في الوقت المناسب، ستختلف من تلك اللحظة تمامًا.

قطع أفكارها صوت باب مكتب المدير يفتح، وخروج الضيف منه، يتبعه المدير وهو يصافحه، وقبل أن يغلق باب مكتبه مرة أخرى، كان أسامة يقف أمامه وفي يده التقرير، وفي كلمات سريعة ومختصرة شرح له الموقف وطلب منه التصديق على التقرير سريعًا.

تفحص المدير التقرير، قبل أن يضع عليه إمضاءه وطلب من السكرتيرة أن تقوم بوضع ختم المستشفى عليه.

وكأن صوت الختم على الورق كانت إشارة الانطلاق لمعاودة بدء السباق من جديد، ففي ثوانٍ اتخذ كل من أسامة ودينا وزينب أماكنهم، وبدأوا في الركض.

* * *

كان السباق لا يزال مستمرًا في طرقات مستشفى الحميات، فكان أسامة يجري، تتبعه دينا وزينب، تحاولان مجاراته في سرعته، في ممرات المستشفى في الاتجاه لمكتب سناء.

ظن أسامة من بداية الممر المؤدي للمكتب أن باب المكتب مغلقًا، وتأكد ظنه مع اقترابه منه.

توقف لثوانٍ يلتقط أنفاسه، ثم طرق الباب وانتظر، وفي هذه الأثناء كانت دينا وزينب قد لحقتا به، ووقف الثلاثة في انتظار سماع صوت سناء من الداخل يسمح لهم بالدخول، ولكن بدلًا من هذا قابلهم الصمت المطبق، أعاد أسامة الطرق، ولما كانت نفس النتيجة، فقد أمسك بمقبض الباب محاولًا فتحه، ولكنه فوجئ بأن الباب موصدا بالمفتاح.

تبادل الثلاثة النظرات، ومازالت أنفاسهم تتلاحق وإن كانت قد بدأت تهدأ تدريجيًّا، ثم قال أسامة بصوت متهدج:

- "لنبحث عن أي شخص نسأله عن هذه الطبيبة"

تحركوا للبحث، عندما لمحوا عامل البوفيه قادمًا من بعيد يحمل بعض المشروبات، في اتجاهه لأحد المكاتب في آخر الممر، فأسرع أسامة إليه قبل أن يدخل المكتب، وسأله إذا كان يعرف أي شيء عن سناء، وإذا كان من المعتاد أن توصد باب مكتبها بالمفتاح، أثناء اليوم.

أخبره العامل أن سناء استدعته منذ قليل لتحاسبه على طلباتها لهذا اليوم لأنها قررت الانصراف مبكرًا.

تلقى الجميع الخبر مصعوقين، ووقفوا لمدة دقائق يحاولون استيعاب الموقف، قبل أن يقول أسامة:

- "يجب أن نسأل من المسؤول بدلًا من هذه الطبيبة، من المؤكد أنه هناك بديل، انتظري يا زينب، سأتصل بخالد صديقي الذي قابلناه هنا من قبل، من المؤكد أنه سيكون لديه معلومات، أو سيتمكن من مساعدتنا بشكل أو بآخر"

هزت زينب رأسها موافقة، فأخرج هاتفه واتصل بخالد وتحدث معه دقائق ثم أشار للفتاتين باتباعه وهو ما زال يتحدث في هاتفه.

ظلوا يتحركون في الممرات حتى وجدوا خالد أمامهم، والذي حياهم سريعًا ثم أخبرهم أنه يجب عليهم أن يحاولوا الوصول لسناء بأي طريقة، فبدونها لن يتمكنوا من صرف الدواء.

أخذهم وذهبوا لشؤون العاملين، للحصول على رقم هاتف سناء، وبعد محاورات كثيرة مع الموظف، وافق على إعطائه الرقم بعد أن حصل على المقابل!

اتصل خالد بالرقم، وانتظر الرد لمدة دقائق، ولكن طال الانتظار ولم يجد إجابة، نظر لهم لا يعرف ماذا يفعل فحثه أسامة على معاودة الاتصال.

كرر المحاولة مرة واثنان، وفي الثالثة قبل أن يوشك على فقد الأمل جاءه صوت سناء هادرًا بشكل جعله ينتفض وهو يسمعها تقول بغضب شديد، ودون أي مقدمات:

- "من أنت أيها الشخص اللحوح عديم الذوق؟ لتتصل بي كل هذه المرات"

تلعثم خالد لثوان، وشعر بأن الكلمات قد هربت منه، وكاد أن ينسى سبب اتصاله، قبل أن يتدارك نفسه ويقول وسط تلعثمه:

- "صباح الخير دكتورة سناء، أنا دكتور خالد سفيان، زميلك بمستشفى الحميات"..

قاطعته بنفاذ صبر:

- "خير؟ أنا تركت المستشفى مبكرًا كي أرتاح من الصداع الذي أصابني، أجئت أنت لتكمل علي؟ ليس لدي وقت للتعارف والحوارات الطويلة، فلتختصر من فضلك، فأنا أريد أن أرتاح"

شعر خالد بالضيق من طريقتها الفظة، ولكنه تخطى ضيقه، وشرح لها باختصار الموقف، وأن الأمر الآن كله متوقف عليها.

جاءه ردها بكل برود:

- "وما المطلوب مني؟ هل تتوقع أن أعود الآن مثلا؟ أنا لن أتحرك من مكاني! أخبرها أن تعود غدًا"

- "ولكن"..

لم تعطه فرصة للرد، وأغلقت الخط قبل أن يكمل جملته.

* * *

كانت زينب تجلس على أحد المقاعد بالمستشفى لا تدري ولا يمكنها أن تفهم ما يحدث حولها. كانت تشعر وكأنها تجلس داخل فقاعة كبيرة شفافة، وعازلة للصوت، فكانت ترى كل ما حولها ولكنها لا تسمع ولا تعي ما يقال، ترى الجميع يتحركون ويتحدثون بصخب مكتوم، أسامة يتحدث في هاتفه بعصبية، وخالد أيضًا يجري بعض الاتصالات، ودينا تكلمها ولكنها لا تعي ماذا تقول. كانت تشعر وكأنها تتابع فيلمًا في تلفاز، قام أحدهم بإلغاء الصوت منه.

اختفت دينا من أمامها وعادت إليها بعلبة من العصير، وعندما مدت دينا يدها بالعصير إليها، ظلت تنظر إليها دون أن تبدي أي رد فعل، فما كان من دينا إلا أن قامت بفتحه ووضع الماصة في فمها، وظلت تربت على ظهرها وهي تقول كلامًا غير مسموع بالنسبة لزينب، ثم أخرجت دينا شيئًا من حقيبتها، وشعرت زينب بها تمسح وجهها بمنديل معطر، وبعدها بقليل بدأت الأصوات تعود تدريجيًّا إلى مسامعها.

اقترب أسامة منهما، وعلى وجهه بعض من التفاؤل، وقال بنبرة مشجعة:

- "لقد ساعدني خالد عن طريق بعض المعارف، وعدة اتصالات من الوصول إلى وكيل نقابة الإطباء، ولقد شرحت له كل شيء واهتم كثيرًا ووعد بأن يحاول التصرف وإيجاد حل سريع لتحصل زينب على الدواء فورًا"

تهللت أسارير دينا بينما لم يبدُ على زينب أي انفعال، فقد بدأت تستسلم للأمر الواقع، وتقنع نفسها بأنه لا جدوى من كل ما يحدث الآن.

رن هاتف أسامة بعد دقائق، وسمعته يكرر الشكر على المتصل به. وما إن أنهى المكالمة حتى قال بحماس:

- "الحمد لله، كان هذا الاتصال من وكيل النقابة، وقد أخبرني أنه تمكن من الاتصال بمدير المستشفى والذي وافق على صرف الدواء"

- "الحمد لله، إذا كيف يمكننا صرف الدواء الآن؟" قالتها دينا وهي تقوم من مكانها وتأخذ بيد زينب.

بدا التردد على أسامة قليلًا قبل أن يقول:

- "الدكتور أخبرني أنه عند الاتصال بدكتورة سناء لتنفيذ الأمر، أخبرتهم أنها لن تعود، وقالت أن كل ما يمكنها فعله أنه إذا تمكنا من إيجاد أحد الصيادلة بالخزينة، فإنها ستسمح له بصرف الدواء"

قال خالد معقبًا بسرعة، وهو يتحرك ويشير إليهم ليتبعوه:

- "لنتحرك إذا سريعًا لنبحث عن أي صيدلي هناك قبل موعد الانصراف"

* * *

اقترب الجميع من الممر المؤدي لخزينة الأدوية بالمستشفى، يقودهم خالد عبر الممرات، وقبل وصولهم لمح خالد إحدى الصيدلانيات اللاتي تعملن بالخزينة، وهي توصد الباب ويبدو أنها كانت توشك على الانصراف، فأسرع إليها وتبعه الباقون يمدون الخطى، ويحاولون اللحاق به.

فوجئت الفتاة بهذا الحشد المقبل عليها بطريقة غريبة أفزعتها، وجعلتها تتراجع للوراء تلقائيًا، قبل أن يقترب منها خالد، ويشرح لها الأمر سريعًا.

نظرت إليهم جميعًا بارتياب، ثم أخرجت هاتفها، واتصلت بسناء تتأكد منها وتعرف منها ما يجب عليها فعله.

سمحت لها سناء بصرف الدواء، ولكنها أكدت عليها ألا تفعل ذلك قبل أن تتأكد من وجود التقرير مع زينب وأنه مختوم من المستشفى الذي تعمل به!

سألتهم عن التقرير، فسلمه لها أسامة، وتأكدت أنه مختوم وسليم، وهمت بالعودة لصرف الدواء قبل أن تعيد فتح الملف مرة أخرى وتلقي نظرة متأنية عليه من جديد.

نظرت في ساعتها، ثم رفعت عينيها وكأنها تفكر، ثم قالت:

- "للأسف لن أستطيع صرف الدواء"

شهق الجميع في دهشة، قبل أن يقول أسامة بانفعال:

- "لماذا؟ التقرير معك وكل شيء به سليم"

- "نعم التقرير سليم، ولكن للأسف طبقا لهذا التقرير فقد مر أكثر من 72 ساعة على الإصابة، والدواء الآن لم يعد له أي جدوى"

نزلت كلماتها عليهم كالصاعقة، وأصيب الجميع بخليط من المشاعر تتأرجح بين الصدمة والحزن، فوقف خالد منكسرًا حزينًا،فبالرغم من عدم معرفته بزينب، فقد شعر بالألم لعدم قدرته على مساعدتها، أما أسامة فقد وقف مذهولًا، يمسح على وجهه وكأنه في كابوس يريد أن يفيق منه، ولا يمكنه أن يصدق ما حدث، ودينا لم تستطع تمالك أعصابها، فوقفت تنتحب، ودموعها تهطل بغزارة.

أما زينب فقد عادت لفقاعتها غير المرئية، ولكن مع اختلاف بسيط هذه المرة، فبعد ثوانٍ، بدلًا من أنها كانت ترى من حولها ولا تسمعهم، فقد اختفى كل شيء، وتوقف كل ما يحيط بها، ولم تعد تسمع ولا ترى سوى سوادًا.

❁ ❁ ❁

"وهى رغم كل ذلك الحياة، ونحن مطالبون أن نحياها كما هي"

عبدالوهاب مطاوع

كانت دينا تجلس أمام شاشة التلفاز تحاول متابعة أحد الأفلام الأجنبية، ولكن محاولاتها باءت بالفشل، حيث أن ذهنها كان مشغولًا، ولا يمكنها التوقف عن التفكير في زينب.

فخلال أسبوع لم تتمكن من الوصول لها أو التحدث إليها بأي شكل من الأشكال، فمنذ أن أوصلتها لمنزلها بعد عودتهم من مستشفى الحميات، وبعد إصرار زينب على أن تتركها بمفردها، فإن كل محاولاتها للاتصال بزينب قد ذهبت سدى، فلم تكن زينب تجيب على هاتفها بالرغم من إلحاح دينا، وحتى عندما ذهبت دينا بنفسها لمنزلها، فقد قابلها والدها وأخبرها أنها منعزلة تمامًا، تغلق على نفسها غرفتها وترفض محادثة أي شخص، ولا تخرج إلا للضرورة القصوى، للذهاب للحمام ثم تعود سريعًا لغرفتها، بلا كلمة واحدة، ولا تتناول من الطعام إلا أقل القليل وذلك بعد تهديد والدها لها بأنها إن لم تتناول الطعام فإنه سيمتنع هو الآخر عن الطعام، فلم تأكل سوى خوفًا على صحته من التدهور.

كانت دينا شاردة، تحاول التفكير في وسيلة تصل بها إلى زينب، عندما رنَّ هاتفها فجأة ليخرجها من أفكارها. ألقت نظرة لا مبالية على الهاتف، ثم قفزت من مكانها، لا تصدق نفسها، وضعت الهاتف على أذنها، وردت بكل لهفة:

- "زينب حبيبتي، لا يمكنني أن أصدق، لقد حاولت الوصول إليك كثيرًا، طمأنيني عليك، هل أنت بخير؟"

شعرت بالدهشة عندما جاءها صوت زينب مرحًا، على عكس ما توقعت، وأنصتت إليها وهي تقول:

- "أنا بخير الحمد لله، لقد أفتقدتك كثيرًا، سامحيني على عدم ردي عليك في الفترة الماضية، ولكن حدث الكثير بهذه الفترة"

- "أهم شيء أنك بخير حبيبتي، أنا أيضًا أفتقدتك"

- "هل يمكنني أن أراك؟"

- "بالطبع، أنا بالفعل أتمنى رؤيتك"

- "حسنًا، فلنتقابل إذن"

* * *

ابتسمت دينا وهي تخطو في اتجاه مدرجات النافورة الراقصة، حيث طلبت زينب مقابلتها، فقد تذكرت أول مرة أتت بزينب لهذا المكان، والذي يبدو أنه قد ترك أثرًا في نفسها، وجعلها تتعلق به.

وصلت دينا، فلم تجد زينب، وهمت بالاتصال بها لتعرف أين هي، عندما سمعت صوتًا مألوفًا من ورائها، ينادي باسمها. التفتت لتجد أسامة أمامها يبتسم ابتسامة يغلفها الخجل والاحراج.

بادر أسامة بسؤالها عن أخبارها، وأجابته إجابة مقتضبة بأنها بخير، ثم خيم الصمت عليهما لمدة لحظات، قبل أن تقطعه هي بسؤالها بنبرة تقترب للعتاب:

- "لم أصادفك ولو لمرة واحدة بالمستشفى؟"

طال صمته وهو يتحاشى النظر إليها، ثم قال بعد برهة، بصوت منكسر:

- "بصراحة كنت أتحاشى تواجدي في أي مكان يمكنني أن أصادفك به"

صعقت دينا من إجابته، وشعرت بالإهانة، وكادت أن تهم بالانصراف، حينما أستوقفها أسامة بقوله:

- "أنا آسف لم أقصد، أرجو ألا تسيئي فهمي، الحقيقة أنني كنت لا أستطيع مواجهتك أنت وزينب بعد كل ما حدث"

ظهر على وجهها علامات الاندهاش، فأكمل موضحًا:

- "لقد شعرت بأنني خذلت زينب ولم أتمكن من مساعدتها، شعرت بالعجز والانكسار، والخجل من نفسي"

ازداد اندهاش دينا أكثر وقالت متعجبة:

- "وما ذنبك أنت يا دكتور؟! لقد بذلت أقصى جهدك، الحقيقة أننا قد حاولنا كلنا ولكن الله كان مقدرًا أمرًا مخالفًا لما أردناه"

- "أعلم هذا، ولكنني لم أتمكن من مواجهة زينب أو مواجهتك، لذا فقد آثرت الابتعاد، لأنني شعرت أن في كل مرة ستلتقي عيناي بعين أي منكما،

فإنني سأتذكر عجزي في تلك اللحظات، وعدم قدرتي على فعل أي شيء وأنا أرى زينب تنهار أمامنا. ولكنني لم أصدق نفسي حينما وجدت زينب تتصل بي اليوم وتطلب مقابلتي هنا"

- "أنا أيضًا كنت أشعر بالحزن والاحباط الشديد طوال الفترة السابقة، وخاصة مع رفض زينب أي تواصل بيننا، كنت كلما رفضت كل محاولات اتصالي بها، أشعر بأنها توجه لي اللوم وتشعرني بالذنب، ولكنني عندما فكرت في الأمر علمت أنها لن تحملنا أبدًا أي ذنب، ورأيت أنها ربما في حاجة للاختلاء بنفسها لبعض الوقت، وشعرت أنه سيأتي وقت وتقبل محاولاتي، وقد صدق حدسي، وجئت اليوم وكلي شوق للتحدث إليها والاطمئنان عليها"

- "هل أخبرك سرًّا؟"

نظرت له دينا مستفهمة دون أن تجيب، فقال:

- "طوال الفترة السابقة وددت أن أتحدث إليك، كنت أشعر أنك تمرين بنفس ما أمر به، وستتفهمين شعوري، حاولت عدة مرات إرسال رسائل لك ولكن في كل مرة كنت أقوم بكتابة الرسالة عدة مرات ثم أقوم بمحوها"

نمت ابتسامة خفيفة على شفتي دينا، سرعان ما حاولت إخفائها خجلًا، ولكن أسامة كان أسرع من تلك المحاولة والتقطها سريعًا، وشعرت هي بذلك فازداد خجلها، وأرادت أن تخفي هذا فقالت بتوتر، وهي تنظر في ساعتها:

- "ترى لم تأخرت زينب؟"!

* * *

طال الحديث بين دينا وأسامة، وكانت دينا كل فترة تتصل بزينب فتؤكد لها أنها في الطريق، فتنغمس مرة أخرى في حوارها مع أسامة. ولم يشعر أيًّا منهما بمرور الوقت حتى نظرت دينا في ساعتها فهتت وقالت بانفعال:

- "ساعتين؟!! كيف مر علينا ساعتين هنا؟! وكيف تتأخر زينب كل هذا"

ابتسم أسامة ثم قال:

- "دائمًا ما تمر الأوقات السعيدة سريعًا"

ابتسمت دينا ولكنها تجاهلت تعليقه خجلًا، وأمسكت بهاتفها تهم بالاتصال مرة أخرى بزينب عندما سمعت صوت زينب من خلفهما تقول:

- "لقد افتقدتكما كثيرًا"

التفت الاثنان إليها، وقاما من مكانهما يرحبان بها، واندفعت دينا نحوها تعانقها وتقبلها بلهفة، ثم قالت معاتبة:

- "لماذا تأخرتِ كل هذا الوقت يا زينب؟"

نظرت زينب إليهما نظرة خبيثة، ثم قالت ببساطة:

- "أبدًا، لقد كان الطريق مزدحمًا"

لم تقنع دينا هذه الإجابة تمامًا، ولكنها تغاضت عن شعورها بأن هناك شيء ما تخفيه زينب، وجذبت زينب من يدها تجلسها وهي تقول:

- "كيف حالك الآن يا زينب؟"

لاحظت زينب صمت أسامة ومحاولته الهروب بعينية عن مواجهتها، فابتسمت وهي تقول موجهة كلامها إليه:

- "لم أكن بحال أفضل من هذا بفضلكما"

ظهرت الدهشة على وجه أسامة، وظن أنها تهزأ، ولكنها أكملت:

- "أعلم أن ما مر بي والحالة التي كنت بها كانت ستدخلني في نفق مظلم، لو كنت استسلمت لها، لما خرجت منه أبدًا، كانت أول الأيام تبدو معتمة، لا ملجأ ولا منجى من الحالة التي كنت فيها، كنت أشعر بأن حياتي قد انتهت، وأنه لا معنى ولا أمل في أي شيء، لم أدرِ كيف سيمكنني مواجهة ماهو قادم، بل لقد شعرت بأنني لو كنت قد مت، كان سيكون أفضل من أن أحيا بهذه الطريقة، ومرت أول أيام بهذا الشكل، لا أرى هدفًا من حياتي، لا أريد أن أصحو من نومي كل يوم، فكلما أفقت شعرت بالاختناق، وأن الدنيا تضيق بي، وظللت على هذه الحالة حتى توقفت لأفكر في حالي قليلًا، وبدأت أراجع كل أموري بهدوء، فوجدت أن الإصابة بالإيدز لا تعني انتهاء حياتي بالضرورة"..

قاطعها أسامة قائلًا:

- "هناك أمر هام يجب أن تدركيه يا زينب، مع كل ما حدث، ليس هناك أي شيء يؤكد إصابتك بالمرض 100% مازال هناك احتمال أن المرض لم يصبك من تلك الوخزة، لذا فعلينا أن نقوم بعمل تحاليل دورية كل شهر،

ثم كل 6 أشهر كي نعرف إذا كنت تحملين المرض أم لا، وبإذن الله لدي أمل كبير في أن تكون هذه التحاليل سلبية بإذن الله"

ابتسمت زينب، ثم قالت بهدوء:

"أتمنى هذا، ولكن في الفترة السابقة كان يتملكني الخوف واليأس حتى تذكرت كلام دينا عن خالها، وبدأت أحاول النظر للأمور بنفس طريقته، في بداية الأمر لم أعرف كيف يمكنني أن أتعامل مع الأمر ببساطة كما فعل، ولكني تدريجيًّا بدأت أفكر، إذا كان عمري ينتهي حتى؛ فلن يفيدني أبدًا الولولة والبقاء في تلك العتمة، فما الذي سأجنيه من الانغلاق على نفسي والانغماس في الأحزان بهذا الشكل؟ فما حدث قد حدث، لن يغيره حزني وجمودي، ولكن إذا بدأت التعايش مع ما حدث والبحث عما يجعلني أعيش بما لديَّ بشكل صحيح، فمن المؤكد أن هذا سيكون أفضل لي، وما إن وصلت لهذا حتى هدأت روحي، وبدأت أشعر وكأن هناك غمامة تبدأ في الانقشاع عن ذهني، وأن هناك أمورًا كثيرة تتبدل في رأسي، واتضح لي أنني من شدة حزني قد تغافلت عن أمور كثيرة ذات قيمة كبيرة، وتجاهلتها وسط انسياقي وراء أحزاني"

التقطت زينب أنفاسها، ونظرت لدينا وأسامة اللذين كانا يتابعان حديثها باهتمام شديد، ثم أكملت:

- "لقد اكتشفت أن وراء ما حدث، والذي كان يبدو في ظاهره العذاب، أن في باطنه كان رحمة شديدة ونعمة"

ظهرت علامات الاندهاش على وجه كل من دينا وأسامة، فهزت زينب رأسها مؤكدة، ثم قالت:

- "بل أكثر من نعمة، فبالرغم من حزني في بداية الأمر من تخلي خطيبي عني، والذي كنت أعد نفسي ليصبح زوجي في خلال شهر، فقد اكتشفت أن تخليه عني هذا قد أظهره على حقيقته، وأنه لا يمكن لي أن أعتمد عليه، ولا يمكنه أن يكون سندًا لي أبدًا، بل إن إرادة الله أن يكشفه لي قبل الزواج تعد نعمة كبيرة، وفي مقابل فقدي لشخص لا يستحق وجوده في حياتي، عوضني الله بشخصين كانا خير عون وسند لي، وهما أنتما الاثنين، فلم أتخيل أن يحمل همي أحد مثلكما، ويرافقني في تلك الرحلة الشاقة، سأظل ممتنة لكما طوال عمري، ولا أعرف كيف يمكنني أن أرد لكما جميلكما عليَّ"

قال أسامة مندهشًا:

- "عن أي جميل تتحدثين يا زينب؟ كيف كان سيمكننا التخلي عنك وتركك؟ على العكس فأنا أشعر بالتقصير تجاه..."

قاطعته زينب:

- "يا دكتور أنت بنفسك رأيت سماح والتي كنت أظن أنها صديقة عمري وقد تخلت عني، فلم ألمحها منذ أن شككنا في أمر إصابتي، ولم تحاول حتى الاتصال للسؤال عني"

تدخلت دينا فقالت مبررة:

- "لا تعرفين ظروفها يا زينب، ربما هناك ما منعها دون قصد"

- "الحقيقة أصبح الأمر لا يهمني، ما يهمني حقًّا من وقفوا بجانبي، من اكتشفت حقيقتهم مع الموقف الصعب الذي مررت به"

هزت دينا رأسها متفهمة، فأكملت زينب:

- "كان أيضًا من ضمن مخاوفي أنني شعرت بأنني سأفقد عملي لا محالة، ولم أدرِ كيف سأعيش أنا ووالدي وأخوتي، ولكنني تذكرت عوض الله الكبير المتمثل في المبلغ الكبير الذي حصلت عليه"

بدا على وجه أسامة أنه لا يفهم ما تقصده زينب، فتذكرت أنه لا يعلم شيئًا عن الأمر، فقالت موضحة:

- "لقد منحني الأستاذ وائل مبلغًا كبيرًا من المال، وأصر أن أقبله تكفيرًا له عن كل ما مر بي، وقد قررت أن أستغل هذا المال في بدء مشروع صغير، أعيش أنا وأهلي من عائده، وسأحتاج بالطبع مساعدتكما في التخطيط لهذا الأمر"

- "بالطبع يا زينب" قالها أسامة مؤكدًا بحماس.

- "قد تكون تلك ال72 ساعة من أصعب ما مر بي في حياتي، ولكن تلك الساعات قد بدلت حياتي وجعلتني أعيد النظر في الكثير من الأمور، وتغيرت

طريقة تفكيري وتعاملي مع الظروف، الحقيقة أنا أحمد الله على كل دقيقة مرت في تلك الساعات"!

- "أنا أيضًا أشعر أن حياتي قد تغيرت كثيرًا في تلك الـ 72 ساعة، فقد كنت أعيش حياتي كلها وحيدة، وخاصة بعد وفاة خالي، أتمنى أن أجد من يشاركني ولو للحظات أكون بها ذكريات أعيش عليها، وفي خلال تلك الساعات رزقني الله بصحبتك يا زينب، وتكون لدي عدة ذكريات، أسعد كلما استرجعتها، وأتمنى تكوين لحظات جديدة معك، فأنا حقيقي شعرت وكأن الله قد أرسلك إليّ كي يعوضني عن كل سنوات وحدتي"

- "وأنا من المؤكد أن حياتي قد تغيرت في تلك الـ 72 ساعة، لا أعرف كيف ولكنني سأكتشف هذا بإذن الله"

قالها أسامة، فنظرت الفتاتان لبعضهما، قبل أن ينفجر الجميع بالضحك، ويشرد أسامة لثوان، يسأل نفسه أيمزح حقًّا، أم ربما تغير شيئًا لديه فعلًا في تلك الـ 72 ساعة؟

* * *

رافق أسامة الفتاتين إلى حيث سيارة دينا، بعدما أمضى الثلاثة وقتًا لطيفًا تبادلوا فيه جميعًا الأحاديث المرحة، ولو أن زينب كانت تنسحب خلسة ما بين الحين والآخر من الحديث وتترك دفة الحوار بين يديهما، وتتابعهما بهدوء وسعادة خفية.

ودعهما أسامة ووقف ينتظر ركوبهما السيارة، عندما لمح إطار السيارة مثقوبًا، فضحك وهو يقول:

- "ما حكايتك مع الإطارات المثقوبة؟"

نظرت دينا للإطار وابتسمت، ثم قالت:

- "لا أصدق هذا، يبدو أن لدي جاذبية لخرق الإطارات"

- "بالفعل لديك جاذبية"..

نظرت له دينا فقال مستدركًا:

- "أقصد حظك مع الإطارات عجيب، لا تقلقي دقائق وأبدل لك هذا الإطار التالف بالإطار الإضافي، لقد أصبح لدي خبرة في هذا الأمر"

ابتسمت دينا ثم اتجهت لفتح الصندوق الخلفي للسيارة، عندما توقفت فجأة وبدا على وجهها الانزعاج، فسألها أسامة عما بها، فأجابته بخجل:

- "لقد نسيت تمامًا إصلاح الإطار منذ أن قمت بتغييره لي المرة السابقة"

تدخلت زينب قائلة:

- "وما العمل الآن؟"

ابتسم أسامة وقال مطمئنًا:

- "لا بأس، يمكنني أخذ واحد من هذه الإطارات لأصلحه وأعود لأقوم بتركيبه بالسيارة ثم نصلح الآخر بعدها"

قالت زينب باندفاع:

- "فكرة ممتازة، وسنأتي معك، فلا يمكن أن نتركك"

نظرت لها دينا معاتبة، فتداركت زينب قائلة:

- "أقصد لا يمكن أن ننتظر بمفردنا هنا، فالأفضل أن نرافقك"

هزَّ أسامة رأسه موافقًا، ودعاهما لسيارته، بعدما أخذ أحد الإطارين التالفين.

ما إن ركب الجميع السيارة، حتى قال أسامة وهو يبتسم:

- "ما رأيكما أن نستمع للراديو؟"

ابتسمت زينب وهي تتذكر فكرة أسامة عن رسائل المذياع، وكيف رفعت تلك الفكرة في المرة السابقة من روحها المعنوية، فوافقت بحماس وشاركتها دينا الموافقة.

فتح أسامة الراديو، وهز رأسه موافقا وابتسم وهو ينظر لدينا بطرف عينه، حينما سمع أغنية يشدو بها أحد المطربين وهو يقول: (أنا شكلي هاحبك ولا إيه؟)

تمت بحمد الله

❁ ❁ ❁